جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
فرع البنات بالقاهرة
قسم التفسير وعلوم القران

التفسير التحليلى لسورتى المجادلة والطلاق

تأليف

د/ مهجة غالب عبدالرحمن هاشم
مدرس التفسير وعلوم القران

الناشر
مكتبة السلام الإسلامية
القاهرة

« ونفس وماسواها فألهمها فجورها وتقواها »

سورة الشمس آية رقم (٧)

مقدمة

المقدمـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المبتدئ بحمد نفسه قبل أن يحمده حامد ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، الرب الصمد الواحد الأحد ، الحي القيوم ذو الجلال والإكرام . سبحانه جل شأنه خالق للانس والجان ، وأرسل الرسل بالبيان ، وجعل رسالة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ خاتمة للأديان .

وأشهد أن محمد عبد الله ورسوله وخير خلقه أرسله الله هاديا ومبشرا ونذيرا صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وكل من اهتدى بهديه الى يوم الدين .

أما بعـد :

فان خير ماصرفت فيه الجهود واشتغل به العلماء تعليما وتفسيرا وتفهما ودراسة واستنباطا كتاب الله " الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد " .

فهو كتاب هداية ودستور أمة هى خير أمة أخرجت للناس ، تكفل رب العزة بحفظه فقال سبحانه " إنا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون " ويسر درسه فقال سبحانه " ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر " وان من وسائل حفظ كتاب الله العزيز اعتناء العلماء فى كل عصر ومصر قديما وحديثا

بتفسير آياته والسهر على فهمه ، والعمل على ايضاح غامضه ، وبيان محكمه ومتشابهه ، وكشف اسراره وعجائبه ، وحصر آيات أحكامه لمعرفة الحلال والحرام واستنباط حكم الشرع من نصوصه الكريمة .

ولقد كانت اليد الطولى فى تفسير آيات كتاب الله العزيز للعلماء القدامى الذين جعلوه شغلهم الشاغل فانكبوا عليه بكل اخلاص حتى تركوا لنا ثروة عظيمة من كتب التفاسير الكريمة ، ولقد كان لآيات الأحكام نصيبا وافرا من جهودهم ، فبينوا ما فى الكتاب العزيز من أوامر ونواه وما فيه أحكام ، ووقفوا على ما تتضمنه الآيات من استدلالات . فجزاهم الله عنا خلفوه وتركوه لنا خير الجزاء .

اذا كان التراث شاهدا على جهود العلماء القدامى فى تفسير كتاب الله العزيز فان عطاء كتاب الله العزيز ما زال فى تدفق وما زال يلجأ اليه كل جيل فى كل عصر لينهلوا من معينه الذى لا ينضب ، لذا كان للعلماء المتأخرين نصيبا كبيرا ومجهودا عظيما فى العمل فى تفسير كتاب الله ومحاولة فهم نصوصه الكريمة ، فهما دقيقا ، فكانت لهم خطوة موفقه ذللوا بها الكثير من الصعاب لطلبة العلم فسعيهم مشكور وجهدهم عند الله يؤجرون عليه .

ومما لا شك فيه أن خير ما يقدمه الانسان من عمل وأفضل ما يسعى اليه الانسان فى حياته هو خدمة كتاب الله والسهر على فهم آياته وتدبر نصوصه

التى هى نور وضياء للانسانية ٠

ولقد من الله تعالى على بأن جعلنى من خدام كتاب اللهالعزيز ومع قلة حيلتى فاننى استعنت باللهواتجهت الى العمل فى تفسير بعض آى الذكر الحكيم تفسيرا تحليليا لعلى أقدم للقارئ شيئا يفيده فيكون صدقة جارية لنا مدخرة عند رب العزة سبحانه وتعالى مع علمى ويقينى بأننى لست من فرسان هذا الفن ولا من شيوخه الذين من الله عليهم بسعة الأفق وقوة البصيرة وقد اخترت الكتابة فى تفسير سورتين عظيمتين من سور القرآن الكريم لما لهاتين السورتين من تأثير عظيم فى النفس ولما لهما من قوة تأثيرية عظيمة فى المجتمع من خلال مافيهما من قواعد ومبادئ اخلاقية وأسس وأحكام دينية ودنيوية ٠ فأرجو من الله تبارك وتعالى أن يوفقنى لهذا العمل وأن يمن على ببصيرة ترى الطريق السليم من خلال كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ٠ انه سبحانه وتعالى نعم المولى ونعم النصير ٠

تحريرا فى : ١ /١٠/ ١٩٩٣م

دكتورة

مهجة غالب عبد الرحمن

مدرس التفسير وعلوم القرآن بكلية

الدراسات الاسلامية والعربية للبنات بالقاهرة

جامعة الازهر

التفسـير التحليلى لسـورة المجادلـة

سورة المجادلة

(قال القرطبي : هي مدنية في قول الجميع ، الا رواية عن عطاء : أن العشر الأول منها مدني وباقيها مكي .

وقول الكلبي : نزلت جميعها بالمدينة غير قوله " مايكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم " (١) نزلت بمكة) (٢) .

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال :نزلت سورة المجادلة بالمدينة .

وأخرج ابن مردويه عن الزبير مثله .

مناسبة السورة لما قبلها (٣) :

(أن سورة الحديد ختمت بفضل الله تعالى وافتتحت هذه بما هو من ذلك ، وقال بعض الأجله في ذلك : لما كان في مطلع الأولى ذكر صفاته تعالى الجليلة ، ومنها الظاهر والباطن وقال سبحانه : (يعلم مايلج في الأرض ومايخرج منها وماينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم) (٤) . افتتح هذه بذكر أنه جل وعلا سمع قول المجادلة التي شكت

---

(١) الآية رقم (٧) من سورة المجادلة .

(٢) تفسير القرطبي حـ ١٧ ص ٢٦٩ م ٩ .

(٣) سورة الحديد .

(٤) سورة الحديد آية ٤ .

اليه تعالى . وذكر سبحانه بعد ذلك " ألم تر أن الله يعلم مافى السموات وما فى الارض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم " (١) وهى تفصيل لإجمال قوله تعالى : " وهو معكم أينما كنتم " (٢) وبذلك تعرف الحكمة فى الفصل بها بين الحديد والحشر مع تواخيهما فى الافتتاح — بسبح — الى غير ذلك مما لا يخفى على المتأمل) (٣) .

عدد آيات سورة المجادلة هى ثنتان وعشرون آية .

سبب تسمية السورة بسورة المجادلة :

قيل إن هذه السورة تسمى سورة المجادلة بكسر الدال والمجادلة بفتحها .

(وتسمى سورة — قد سمع — وسميت فى مصحف أبى رضى الله تعالى عنه الظهار) (٤) . وسميت هذه السورة بهذا الاسم لما أفتتحت به من قصة المرأة التى جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرض عليه مافعله زوجها " من أمر الظهار منها " ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها بأنه

---

(١) سورة المجادلة جزء آية (٧) .

(٢) سورة جزء من الآية رقم (٧) .

(٣) تفسير الآلوسى جـ ١٧ ص٢ باختصار .

(٤) روح المعانى للآلوسى جـ ٢٨ ص٢ .

لا يرى الا أنها قد بانت منه ومراجعة المرأة للرسول الكريم بعرض حالها وكبر سنها وضعف صغارها وتحاوره ويرد عليها الى أن سمع المولى عز وجل تحاورهما وشكوتها من فوق سبع سموات وكانت هذه المرأة سببا فى نزول بيان حكم الظهار فى الإسلام (١).

---

(١) وأخرج أحمد وابو داود وابن المنذر والطبراني وابن مردويه والبيهقى من طريق يوسف بن عبد الله بن سلام قال : " حدثتنى خولة بنت ثعلبة قالت : فى والله وفى أوس بن الصامت أنزل الله صدر سورة المجادلة . قالت : كنت عنده ، وكان شيخا كبيرا قد ساء خلقه . فدخل على يوما فراجعته بشئ فغضب فقال : أنت على كظهر أمى . ثم رجع فجلس فى نادى فوق ساعة . ثم دخل على فاذا هو يراودنى عن نفسى قلت : كلا والذى نفس خولة بيده ، لا تصل إلى وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله فينا ، ثم جئت الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكرت ذلك له ، فما برحت حتى نزل القرآن ، فتغشى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما كان يتغشاه ثم سرى عنه ، فقال لى : ياخولة قد أنزل الله فيك وفى صاحبك ثم قرأ على " قد سمع الله قول التى تجادلك " الى قوله " عذاب أليم " فقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم : مريه فليعتق رقبة ، قلت يارسول الله ما عنده ما يعتق ، قال : فليصم شهرين متتابعين ، قلت : والله انه لشيخ كبير ما به من صيام . قال فليطعم ستين مسكينا وسقا من تمر ، فقلت : والله ما ذاك عنده ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : فأنا سأعينه بعرق من تمر ، فقلت : وأنا يارسول الله سأعينه بعرق آخر ، فقال : قد أصبت

=

الآيـة الأولى :

قال تعالى : " قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكـى الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير" .

المعانى اللغوية :

تجادلك : أى تراجعك .

وتشتكى الى الله : (اظهار البث وأصل الشكو فتح الشكوة واظهار مافيه وهى سقاء صغير يجعل فيه الماء)[1] .

والله يسمع تحاوركما : أى والله يعلم تراجعكما فى الكلام .

سميع : يسمع كل مسموع .

بصير : يبصر كل مبصر .

= وأحسنت فاذهبى فتصدقى به عنه ثم استوصى بابن عمك خيرا ، قالت ففعلت" .

انظر كتاب فتح القدير للامام الشوكانى حـ ٥ ص٨٤ .

سنن أبى داود حـ ٢ بكتاب الطلاق باب فى الظهار حديث رقم ٢٢١٣ وحديث رقم ٢٢١٤ ص٢٦٥ ، ٢٦٦ .

سنن النسائى كتاب الطلاق باب الظهار حـ ٦ ص١٦٧ و ١٦٨ .

(١) المفردات فى غريب القرآن للراغب الاصفهانى ص٢٦٧ باختصار .

سبب النزول :

نزلت الايات الأربعة فى خولة بنت ثعلبة الأنصاريه (١) وفى زوجها أوس بن الصامت . كان قد ظاهر منها زوجها . فقال لها فى غضب : أنت على كظهر أمى ، وكان الظهار يومئذ طلاقا وكانت المرأة ذات أطفال صغار وتقدم بها وبزوجها السن فجاءت لرسول الله صلى الله عليه وسلم تشكو اليه ماقاله زوجها فذكرت للرسول صلى الله عليه وسلم ضعفها وضعف زوجها وضعف أطفالها الصغار ومازالت تراجع الرسول صلى الله عليه وسلم وتحاوره فى شأنها وشأن زوجها حتى نزلت هذه الآيات

---

(١) قال أبوجعفر النماسى : أهل التفسير على أنها خولة وزوجها أوس ابن الصامت ، واختلفوا فى نسبها ، قال بعضهم : هى أنصارية وهى بنت ثعلبه ، وقال بعضهم : هى بنت دليج ، وقيل : هى بنت خويلد ، وقال بعضهم : هى بنت الصامت ، وقال بعضهم : هى أمة كانت لعبد الله بن أبى ، وهى التى أنزل الله فيها "ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا" لانه كان يكرهها على الزنى . وقيل : هى بنت حكيم . قال النماسى : وهذا ليس بمتناقض ، يجوز أن تنسب مرة الى أبيها ، ومرة الى أمها ، ومرة الى جدها ، ويجوز أن تكون أمة كانت لعبد الله بن أبى فقيل لها أنصارية بالولاء ، لانه كان فى عداد الانصار وان كان من المنافقين) الجامع لأحكام القرآن للقرطبى م٩ حـ ١٧ ص ٢٧٢ والالوسى حـ ٢٨ ص ٣ .

الأربع [١] .

الشرح التحليلى للآيـة :

قال تعالى : " قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكـى الى الله " (يخبر المولى عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم أنه قد سمع قـول المرأة التى تجادلك أى تراجعك فى شأن زوجها الذى ظاهر منها ٠ وتشتكى الى الله بعد أن قلت لها : والله ما أمرت فى شأنك بشىء ، فتشكوا الى الله ضعف حالها [٢]) .

والمجادلة هذه الكائنة منها مع رسول الله أنه كان كلما قال لها قـد حرمت عليه ، قالت : والله ماذكر طلاقا ثم تقول أشكو الى الله فاقتى ووحدتى وان لى صبيه صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا ، وان ضممتهم الى جاعوا ٠ وجعلت ترفع رأسها الى السماء وتقول : اللهم انى أشكو اليك ٠ فهذا معنى قولـه " وتشتكى الى الله " ٠

وقوله " قد سمع الله " قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائى بادغام الدال فـى السين ، وقرأ الباقون بالاظهار) [٣] .

---

(١) المعنى موجود فى كتاب أسباب النزول لابى الحسن الواحدى النيسابورى ، دار الكتب العلمية بيروت ــ لبنان ــ ص ٢٧٣ ٠

(٢) أيسر التفاسير لكلام العلى الكبير لابى بكر الجزائرى م الخامس حـ ٢٨ ص ٢٨٢ ط الثالثة بالمعنى ٠

(٣) فتح القدير للامام الشوكانى حـ ٥ ص ١٨١ ٠
وذكره الالوسى حـ ٢٨ ص ٢ ٠

وقال الالوسى رحمه الله (" قد سمع الله " السماع مجاز عن القبـــول والاجابة بعلاقة السببية أو كناية عن ذلك ، و (قد) للتحقيق أو للتوقع وهـــو مصروف الى تفريج الكرب لا الى السمع لأنه محقق أو الى السمع لأنه مجـــاز أو كناية عن القبول ، والمراد توقع المخاطب ذلك ، وقد كان صلى الله عليـه وسلم يتوقع أن ينزل الله تعالى حكم الحادثة ويفرج عن المجادلة كربها ، وفى الاخبار مايشعر بذلك) (١) .

قال الكسائيّ : من بين الدال عند السين فلسانه أعجمى وليس بعربى وقوله " وتشتكى الى الله " معطوف على تجادلك) .

قال تعالى : " والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير " .

أى أن المولى عز وجل يسمع مراجعتكما لبعضكما بعضا الحديث وأجابكما وهو يسمع كل مسموع ويبصر كل مبصر . ومن جملة ذلك ماجادلتك به هذه المرأة

(وجاء فى فتح القدير أن قوله تعالى : "والله يسمع تحاوركما " فى محل نصب على الحال ، أو مستأنفه جارية مجرى التعليل لما قبلها) (٢) .

جاء فى روح المعانى (فان الحافها فى المسألة وبالغتها فى التضرع الى الله تعالى ومدافعته عليه الصلاة والسلام اياها وعلمه عز وجل بحالهمـــا

---

(١) تفسير الالوسى حـ ٢٨ ص ٣ .

(٢) فتح القدير للشوكانى حـ ٥ ص ١٨١ .

من دواعى الاجابة . وصيغة المضارع للدلالة على استمرار السمع حسب استمرار التحاور وتجدده ، وفى نظمها فى سلك الخطاب تغليبا وتشريف لها من جهتين) (١).

لذلك يتضح لنا هنا سر ختم الآية بقوله : " سميع بصير " قال الامام الالوسى (تعليل لما قبله بطريق التحقيق) (٢) اى أنه يسمع كل مسموع ويبصر كل مبصر ، سميع لأقوال عباده قريب منهم عليم بأحوالهم فسمع قول المرأة وتحاورها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والاسم الجليل فى الموضعين (والله يسمع) و (ان الله) لتربية المهابه وتعليل الحكم بما اشتهر به الاسم الجليل من وصف الالوهية وتأكيد استقلال الجملتين (٣) . وقد روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : الحمد لله الذى وسع سمعه الاصوات لقد جاءت المجادلة تشكو الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا فى ناحية البيت ما أسمع ماتقول فأنزل الله عز وجل " قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها " (٤).

والله أعلم .

---

(١) تفسير الامام الالوسى حـ ٢٨ ص ٣ ، ٤ .

(٢) تفسير ابو السعود حـ ٥ ص ٦٩٢ ، ٦٩٣ .

(٣) تفسير الالوسى حـ ٢٨ ص ٤ .

(٤) سنن النسائى باب الظهار جـ ٦ ص ١٦٧ : ١٦٨ ، ابن ماجة مقدمه ١٣ ، احمد بن حنبل جـ ٦ ص ٤٦ .

الآية الثانية :

قال تعالى : " الذين يظهرون منكم من نسائهم ماهن أمهاتهم ان أمهاتهم الا اللائى ولدنهم وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا وان الله لعفو غفور " .

المعانى اللغوية :

الذين يظاهرون : أى يحرمون نساءهم بقول أنت على كظهر أمى .

ماهن أمهاتهم : مانساؤهم بأمهاتهم .

ان أمهاتهم الا اللائى ولدنهم : ما أمهاتهم الا اللائى ولدنهم .

منكرا من القول : (المنكر هو كل فعل تحكم العقول الصحيحة بقبحه وتحكم بقبحه الشريعة) (١) .

أى فظيعا من القول وهو " انت على كظهر أمى " .

وزورا : وكذبا ، (قيل للكذب زور لكونه مائلا عن جهته) (٢) .

لعفو : أى يصفح عنهم .

غفور : يغفر ويمحوا الذنوب اذا تابوا عنها فيصون العبد من أن تمسه النار .

---

(١) المفردات فى غريب القرآن للراغب الاصفهانى ص ٥٠٥ .

(٢) المفردات فى غريب القرآن للراغب الاصفهانى ص ٢١٧ .

مناسبة الآية لما قبلها :

بعد أن عرض المولى عز وجل قصة أول ظهار حدث فى الاسلام وهو قصة خوله وقول زوجها لها : أنت على كظهر أمى وذهاب خوله الأنصاريه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحاورها ثم دعواها لله وشكواها له ببيان حالها وحال زوجها وأطفالها شرع المولى عز وجل فى بيان شأن الظهار وذكر حكمه المترتب عليه شرعا ، وفى ذلك تحقيق قبول تضرع تلك المرأة واشكاءها بطريق الاستثناء .

الشرح التحليلى للآية :

قال تعالى : " الذين يظهرون منكم من نسائهم "

قرأ الجمهور " يظهرون " بالتشديد وبفتح حرف المضارعة ، وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى وخلف " يظاهرون " بفتح الباء وتشديد الظاء وألف .

وقرأ أبو العاليه وعاصم وزد ابن حبيش " يظاهرون " بضم الياء وتخفيف الظاء وألف وكسر الهاء ، وقرأ أبى " يتظاهرون بفك " الادغام " [1]

---

(١) انظر الجامع لاحكام القرآن للقرطبى م ٩ حـ ١٧ ص٢٧٣ وفتح القدير للشوكانى حـ ٥ ص١٨٢ ، المفردات فى غريب القرآن ص٣٠٨ .

معنى الظهار :

الظهار لغة مشتق من الظهر لأنه موضع الركوب والمرأة مركوب الزوج ، وقيل مأخوذ من العلو لقوله تعالى : " فما اسطاعوا أن يظهروه "(١) أى يعلوه ، فكأنه قال : علوى عليك كعلوى على أمى

والظهار فى الشرع : تشبيه الزوج زوجته فى الحرمة بمحرمة والأصل فيه قبل الاجماع قوله تعالى : " والذين يظاهرون من نسائهم "(٢) .

صورة الظهار :

وصورة الظهار أن يقول الرجل لزوجته : أنت على كظهر أمى وهذا هو أصل الظهار .

(وانما ذكر الله الظهر كناية عن البطن وسترا . فان قال : أنت على كأمى ولم يذكر الظهر ، أو قال : أنت على مثل أمى ، فان أراد الظهار فله نيته ، وان أراد الطلاق كان مطلقا ألبتة عند مالك ، وان لم تكن له نية فى طلاق ولا ظهار كان مظاهرا . ولا ينصرف صريح الظهار بالنية الى الطلاق كما لا ينصرف صريح الطلاق وكنايته المعروفة له الى الظهار ، وكناية الظهار خاصة تنصرف بالنية الى الطلاق ألبت)(٣) .

---

(١) سورة الكهف الآية ٩٧ .

(٢) سورة المجادلة الآية رقم ٣ .

(٣) تفسير الطبرى م ٩ جـ ١٧ ص ٢٧٣ ، ٢٧٤ .

ألفاظ الظهار ضربان : صريح وكناية

فالصريح : أنت على كظهر أمي ، وأنت عندي وأنت مني وأنت معي كظهر أمي .

وكذلك أنت على كبطن أمي أو كراسها أو فرجها أو نحوه ، وكذلك فرجك أو رأسك أو ظهرك أو بطنك أو رجلك على كظهر أمي فهو مظاهر ، مثل قوله : يدك أو رجلك أو رأسك أو فرجك طالق تطلق عليه .

وقال الشافعي في أحد قوليه : لايكون ظهارا ، وهذا ضعيف منه لأنه قد وافقنا على أنه يصح اضافة الطلاق اليه خاصة حقيقة خلافا لأبي حنيفة فصح اضافة الظهار اليه . ومتى شبهها بأمه أو باحدى جداته من قبل أبيه أو أمه فهو ظهار بلا خلاف .

والكناية أن يقول : أنت على كأمي أو مثل أمي فانه يعتبر فيه النية . فان أراد الظهار كان ظهارا ، وان لم يرد الظهار لم يكن مظاهرا عند الشافعي وأبي حنيفة .

والدليل على أنه أطلق تشبيه امرأته بأمه فكان ظهارا .

أصله اذا ذكر الظهر وهذا قوى فان معنى اللفظ فيه موجود — واللفظ بمعناه — ولم يلزم حكم الظهر للفظه وانما ألزمه بمعناه وهو التحريم ؛ قاله ابن العربي .

واذا شبه جملة أهله بعضو من أعضاء أمه كان مظاهرا ، خلافا لأبى حنيفة فى قوله : انه ان شبهها بعضو يحل له النظر اليه لم يكن مظاهرا . وهذا لا يصح . لأن النظر اليه على طريق الاستمتاع لا يحل له ، وفيه وقع التشبيه واياه قصد المظاهر .

وقد قال الامام الشافعى فى قول : انه لايكون ظهارا الا فى الظهر وحده . وهذا فاسد .

لأن كل عضو منها محرم ، فكان التشبيه به ظهارا كالظهر ، ولأن المظاهر انما يقصد تشبيه المحلل بالمحرم فلزم على المعنى) (١) .

واختلف العلماء فى قوله : (أنت على كظهر ابنتى أو أختى)أو عمتى أو خالتى) فعن ابى حنيفة ومالك أنه ظهار وبه قال الحسن والنخعى والزهرى والأوزاعى والثورى .

وقال قتادة والشعبى : أنه لا يكون ظهارا بل يختص الظهار بالأم وحدها .

واختلفت الرواية عن الشافعى رضى الله عنه .

---

(١) تفسير الطبرى م ٩ حـ ١٧ ص٢٧٤ باختصار.

(٢) تفسير الامام الشوكانى حـ ٥ ص١٨١ وتفسير الطبرى م ٩ حـ ١٧ ص ٢٧٤.

الظهار بالأجنبيـة :

اختلف العلماء في الظهار بالاجنبية فأصحاب مالك منهم من لا يـرى الظهار الا بذوات المحارم خاصة ولا يرى الظهار بغيرهن •

ومنهم من لا يجعله شيئا •

ومنهم من يجعله في الاجنبية طلاقا •

وهو عند مالك اذا قال : كظهر ابني أو غلامي أوكظهر زيد أوكظهـر أجنبية ظهار لا يحل له وطؤها في حين يمينه ، وقد روى عنه أيضا : أن الظهار بغير ذوات المحارم ليس بشئ ، كما قال الكوفي والشافعي وقـال الاوزاعي : لو قال لها أنت على كظهر فلان رجل فهو يمين يكفرها واللـه أعلـم •

والمعنى : أى الذين يقع منهم الظهار من نسائهم فيقول أحدهـم لامرأته : أنت على كظهر أمي ، يريد أنك على حرام ، كما أن أمي على حرام ـ مخطئون فيما صنعوا •

قال الامام الالوسي رحمه الله أن هذه الآية (شروع في بيان شـأن الظهار في نفسه وحكمه المترتب عليه شرعا ، وفي ذلك تحقيق قبول تضرع تلك المرأة واشكاؤها بطريق الاستئناف) (١) .

---

(١) روح المعاني للالوسي جـ ٢٨ ص٤ •

وقال تعالى : "ماهن أمهاتهم ان أمهاتهم اللا اللائى ولدنهم " هذا بيان لخطئهم بأن جعلوا زوجاتهم أمهاتهم والمعنى : ينفى المولى عز وجل أن تكون الزوجة أما على الحقيقة فكيف يجعلونها كذلك ، ماأمهاتهم الا من ولدنهم ، فلا ينبغى تشبيه الزوجة بالأم .

(قرأ المفضل عن عاصم (أمهاتهم) بالرفع على لغة تميم ، وقرأ ابن مسعود — بأمهاتهم — بزيادة الباء .

قال الزمخشرى : فى لغة من ينصب أى بما الخبر — وهم الحجازيون — يعنى أنهم الذين يزيدون الباء دون التميميين وقد تبع فى ذلك أبا على الفارسى ، ورد بأنه سمع خلافه كقول الفرزدق وهو تميمى :

لعمرك مامعن بتارك حقه ولا منسئ معن ولا متيسر

وقال الامام الألوسى رحمه الله : (فلا يشبه بهن فى الحرفة إلا من ألحقها الله تعالى بهن كالمرضعات ومنكوحات الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فدخلن فى حكم الأمهات ، وأما الزوجات فأبعد شئ من الامومة) [1]

قال تعالى : (وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا) وهنا زاد المولى عز وجل فى توبيخهم وتقريعهم وبالغ فى الاستهجان .

والمعنى : أن هؤلاء المظاهرين ليقولون بقولهم هذا منكرا من القول

---

(١) روح المعانى حـ ٢٨ ص٥ .

أى قولا فطبعا ينكره العقل والشرع ولا يوافق عليه ذ و طبع سليم وهو كذب باطل متحرف عن الحق فالشيخ المراغى فى هذه الآية (كيف تشبه من يسكن اليها وتسكن اليه ، وجعل بينه وبينها مودة ورحمة ، وصلة خاصة لا تكون لأم ولا لأخت ، بمن جعل صلتها بابنها صلة الكرامة والحنو والاجلال والتعظيم ، الى أن الرجل قوام على المرأة له حق تأديبها اذا اعوجت وهجرانها فى المضاجع اذا جمحت ولم يعط ذلك لابن ليعامل به أمه ،فهذا زور وبهتان عظيم . وغير خاف مافى هذا من الاستهجان ، وشديد التشنيع على صدور هذا القول منهم) (١) .

ثم ختم المولى عز وجل الآية بقوله (وان الله لعفو غفور) أى مبالغ فى العفو والمغفرة فيغفر لما سلف منه على الاطلاق أو بالمتاب عنه .

قال الامام الألوسى رحمه الله (أى مبالغ فى العفو والمغفرة فيغفر ما سلف منه ويعفو عمن ارتكبه مطلقا أو بالتوبة ، ويعلم من الآيات أن الظهار حرام بل قالوا : انه كبيرة لان فيه اقداما على احالة حكم الله تعالى وتبديله بدون اذنه ، وهذا أخطر من كثير من الكبائر اذ قضيته الكفر لولا خلو الاعتقاد عن ذلك ، واحتمال التشبيه لذلك وغيره ومن ثم سماه عز وجل (منكرا من القول وزورا)) (٢) .

---

(١) تفسير المراغى حـ ٢٨ ص٦ ، ٧ .

(٢) روح المعانى للالوسى حـ ٢٨ ص٥ .

الآية الثالثة والرابعة :

قال تعالى : " والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ، ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير • فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا ، فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله ، وتلك حدود الله وللكافرين عذاب أليم " •

المعانى اللغوية :

ثم يعودون لما قالوا : أى يعزمون على العودة للتى ظاهروا منها •

فتحرير رقبة : أى اعتاق رقبة •

يتماسا : أن يجامعها •

ذلكم توعظون به : أى تؤمرون به •

وتلك حدود الله : أى أحكام شرعه •

وللكافرين عذاب أليم : أى الجاحدين لها عذاب ذو ألم ، أى موجع •

مناسبة الآيتين لما قبلهما :

بينت الاية السابقة أن الظهار أمرا منكرا ، أى ينكره العقل السليم ويحرمه الشرع الحكيم ، وأن المولى عز وجل كثير العفو والمغفرة فقد عفى عما سلف لمن تاب ورجع •

ثم فصل فى هاتين الآيتين حكم كفارة الظهار بطريق التشريع الكلى ٠

وحكم الظهار : يحرم على مظاهر منها الوطء قبل التكفير للآية (ولما روى عكرمة عن ابن عباس أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : إنى ظاهرت من امرأتى فوقعت عليها قبل أن أكفر فقال : ما حملك على ذلك يرحمك الله ٠ فقال : رأيت خلخالها فى ضوء القمر ٠ فقال : لا تقربها حتى تفعل ما أمرك الله به) (١)

ويحرم أيضا الاستمتاع بما دون الفرج قبل التكفير ٠

وتجب الكفارة أى تثبت فى ذمته بالعود وهو الوطء ٠

كفارة الظهار :

كفارة الظهار على الترتيب فيجب تحرير رقبة فان لم يجد فصيام شهرين متتابعين فان لم يستطع فاطعام ستين مسكينا لقوله تعالى : " والذين يظاهرون من نسائهم ٠٠٠ " ٠

ولحديث خولة امرأة أوس بن الصامت حين ظاهر منها فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم يعتق رقبة قالت ـ يعنى أمرأته ـ لا يجد قال فيصوم شهرين متتابعين قالت شيخ كبير ما به من صيام قال فيطعم ستين مسكينا ٠

قوله تعالى : (والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا

---

(١) سنن النسائى حـ ٦ باب الظهار ص١٦٧ : ١٦٨ ٠

فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا) .

والمعنى : ان الذين يقولون هذا القول المنكر ـ انت على كظهر أمي ـ ثم يتداركونه ينقضه ويرجعون عما قالوا فيريدون المسيس ، فعلى كل منهم عتق رقبه ـ عبد أو أمة ـ قبل التماس ان كان يملك ذلك .

قال الامام الشوكاني رحمه الله (قال الأخفش (لما قالوا) والى ماقالوا يتعاقبان قال ... (وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا) [١] وقال (فاهدوهم الى صراط الجحيم) [٢] وقال (بأن ربك أوحى لها) [٣] ـ وقال ـ (وأوحى الى نوح) [٤] .

وقال الفراء : اللام بمعنى عن ، والمعنى : ثم يرجعون عما قالوا ويريدون الوطء .

وقال الزجاج : المعنى ثم يعودون الى ارادة الجماع من أجل ماقالوا .

قال الأخفش أيضا : الآية فيها تقديم وتأخير ، والمعنى : والذين يظهرون من نسائهم ثم يعودون لما كانوا عليه من الجماع) [٥] .

---

(١) سورة الاعراف آية ٤٣ .

(٢) سورة الصافات آية ٢٣ .

(٣) سورة الزلزلة آية ٥ .

(٤) سورة هود آية ٣٦ .

(٥) تفسير فتح القدير حـ ٥ ص١٨٢ .

واختلف أهل العلم فى تفسير العود المذكور على أقوال [١] :

نلخصها فى الاتى :

١ ـ أن المراد بالعود هو العزم على الوطء ٠

٢ ـ وقيل هو الوطء نفسه ٠

٣ ـ وقيل هو أن يمسكها زوجة بعد الظهار مع القدرة على الطلاق ٠

٤ ـ وقيل هو الكفارة ٠

٥ ـ وقيل هو تكرير الظهار بلفظة أى ثم يعودون الى قول ماقالوا قوله تعالى : (فتحرير رقبة) أى عليه تحرير رقبة من أجل ماقالوا أو فالواجب عليه تحرير رقبة ٠

(وفى الاتيان بالفاء فى قوله تعالى : (فتحرير) ... الخ ٠ دلالة على ماقاله بعض الأجلة : على تكرر وجوب التحرير بتكرر الظهار ، فاذا كان له زوجتان مثلا فظاهر من كل منهما على حدة لزمه كفارتان " ٠

لو ظاهر من امرأته مرتين أو ثلاثا فى مجلس واحد أو مجالس متفرقة لزمه بكل ظهار كفارة) [٢] .

فالجار فى فى قوله تعالى (لما قالوا) متعلق بالمحذوف الذى هو خبر

---

(١) التفصيل المذكور فى تفسير القرطبى حـ ١٧ ص٢٨٢ ، وتفسير روح المعانى حـ ٢٨ ص٦ ، ٧ ٠

(٢) تفسير روح المعانى للألوسى حـ ٢٨ ص١٢ ٠

المبتدأ وهو فعليهم .

(ويشترط الرقبة أن تكون سليمة كامله وقيل أنه من سلامتها اسلامها وعند البعض تجزى الكافرة ومن فيها شائبة رق كالمكاتبة وغيرها .

وهنا مسألة : ان أعتق نصفى عبدين هل تجزيه ؟

(قال البعض لا يجزيه ذلك أمثال ابى حنيفة وقال البعض منهم الشافعي يجزئ ، لأن نصف العبدين فى معنى العبد الواحد ، ولأن الكفارة بالعتق طريقها المال فجاز أن يدخلها التبعيض والتجزى كالاطعام .

ورد من يقول بعدم الاجزاء بأن دليلهم قوله تعالى : (فتحرير رقبة) وهذا الاسم عبارة عن شخص واحد ، وبعض الرقبة ليس برقبة وليس ذلك مما يدخله التلفيق ، لأن العبادة المتعلقة بالرقبة لا يقوم النصف من رقبتين مقامها ، أصله اذا اشترك رجلان فى أضحيتين ، ولأنه لو أمر رجلين أن يحجا عنه حجة لم يجز أن يحج عنه واحد منهما نصفها كذلك هذا . ولأنه لو أوصى بأن تشترى رقبة فتعتق عنه لم يجز أن يعتق عنه نصف عبدين ، كذلك فى مسألتنا وبهذا يبطل دليلهم . والاطعام وغيره لا يتجزى فى الكفارة عندنا) (١) .

قوله تعالى : (من قبل أن يتماسا) ما المراد بالمس هنا ؟

---

(١) تفسير القرطبى جـ ١٧ ص٢٨٣ بالمعنى .

المراد بالتماس هنا الجماع وبه قال الجمهور ، فلا يجوز للمظاهر الوطء حتى يكفر .

(فان جامعها قبل أن يكفر أثم وعصى ولا يسقط عنه التكفير وقيل : ان وطىء قبل أن يشرع فى التكفير لزمه كفاره أخرى . وقيل : أن الكفاره الواجبه بالظهار تسقط عنه ولا يلزمه شىء أصلا ، لأن الله تعالى أوجب الكفارة وأمر بها قبل المسيس فاذا أخرها حتى مس فقد فات وقتها .

والصحيح ثبوت الكفارة ، لأنه بوطئه ارتكب اثما فلم يكن ذلك مسقطا للكفارة ، ويأتى بها قضاء كما لو أخر الصلاة عن وقتها) (١) .

وخير دليل على هذا حديث الرجل الذى وطء امرأته قبل أن يكفر . فلم يسقط عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم الكفاره بل قال له : لاتقربها حتى تفعل ما أمرك الله به) (٢) يريد الكفارة وقيل: إن المراد به الاستمتاع بالجماع أو اللمس أو النظر الى الفرج بشهوه .

(قال الامام القرطبى : فأما غير الوطء من القبلة والمباشرة والتلذذ فلا يحرم فى قول أكثر العلماء .

وقاله الحسن وسفيان ، وهو الصحيح من مذهب الشافعى .

---

(١) تفسير القرطبى حـ ١٧ ص٢٨٣ .

(٢) الحديث فى ص من الكتاب .

وقيل : وكل ذلك محرم وكل معانى المسيس ، وهو قول مالك وأحد قولى الشافعى) (١) .

قال تعالى : (ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير) هنا يبين المولى عز وجل السبب الذى من أجله شرع هذا الحكم .

أى انه شرع لكم حكم الكفارة عند طلب العودة الى المسيس ليكون ذلك زاجرا لكم عن ارتكاب المنكر .

فان الكفارة تمنع من وقوع الجرم ، والله خبير بأعمالكم لا يخفى عليه شىء منها ، وهو مجازيكم بها . فانتهوا عن قول المنكر ، وحافظوا على ما شرع لكم من الحدود ، ولا تخلو بشىء منها . (والله بما تعملون خبير) أى والله يعلم من الأعمال التى من جملتها التكفير وما يوجبه من جناية الظهار عالم بظواهرها وبواطنها ومجازيكم بها .

قال الإمام الالوسى رحمه الله (ذلكم) الاشارة الى الحكم بالكفارة والخطاب للمؤمنين الموجودين عند النزول أولهم ولغيرهم من الأمة) (٢) .

وقوله تعالى : (فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا) . والمعنى فمن لم يجد رقبة ولا ثمنها فالواجب عليه صيام شهرين

---

(١) تفسير القرطبى حـ ٧ ص٢٨٣ .

(٢) روح المعانى حـ ٢٨ ص١٢ .

متصلين من قبل التماس ، أو يملك رقبه ولكنه شديد الحاجة اليها لخدمته ، أوكان مالكا لثمنها الا أنه يحتاج اليه لينفقه ، أوكان له مسكن ليس له غيره ولا يجد شيئا سواه ، فله أن يصوم عند الشافعى ، وقال أبو حنيفة : لا يصوم وعليه عتق ولوكان محتاجا الى ذلك . وقال مالك : اذا كان له دار وخادم لزمه العتق فان عجز عن الرقبة ، فعليه صوم شهرين متتابعين .

وهنا مسألة : وهى : ما الحكم اذا أفطر أثناء الشهرين . قال ابن المسيب وعطاء بن أبى رباح وعمرو بن دينا والشعبى وهو أحد قولى الشافعى(١): ان أفطر فى أثنائهما بغير عذر استأنفهما ، وان أفطر لعذر من سفر أو مرض فقيل : يبنى .

وقال مالك : انه اذا مرض فى صيام كفارة الظهار بنى اذا صح .

ومذهب أبى حنيفة رضى الله عنه أنه يبتدىء ، وهو أحد قولى الشافعى .

أما اذا وطىء المتظاهر فى خلال الشهرين نهارا ، بطل التتابع فى قول الشافعى ، وليلا فلا يبطل ، لأنه ليس محلا للصوم .

وقال مالك وأبو حنيفة : يبطل بكل حال ووجب عليه ابتداء الكفارة ، لقوله تعالى : "من قبل أن يتماسا" وهذا الشرط عائد الى جملة الشهرين ، والى أبعاضهما ، فاذا وطىء قبل انقضائهما فليس هو الصيام المأمور به ، فلزمه استئنافه ، كما لو قال : صلى قبل أن تكلم زيدا ، فكلم زيدا فى الصلاة ،

---

(١) وهو الصحيح من مذهبه .

أو قال : صلى قبل أن تبصر زيدا فأبصره فى الصلاة لزمه استئنافها ، لأن هذه الصلاة ليست هى الصلاة المأمور بها كذلك هذا ، والله أعلم) (١) .

قال تعالى : (فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا) أى فمن لم يستطع صيام الشهرين المتتابعين لكبر سن أو مرض لا يرجى زواله - فعليه اطعام ستين مسكينا لكل منهم نصف صاع من بر ، أو صاع من شعير أو تمر قبل التماس أيضا . قال الامام الشوكانى رحمه الله : (أى فعليه أن يطعم ستين مسكينا ، لكل مسكين مدان ، وهما نصف صاع ، وبه قال أبوحنيفة وأصحابه . وقال الشافعى وغيره : لكل مسكين مد واحد ، والظاهر من الآية أن يطعم حتى يشبعوا مرة واحدة ، أو يدفع اليهم مايشبعهم ، ولا يلزمه أن يجمعهم مرة واحدة ، بل يجوز له أن يطعم بعض الستين فى يوم ، وبعضهم فى يوم آخر) (٢) .

قال تعالى : (ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب أليم) ذلك أى ماتقدم من الاحكام من وجوب الكفارة للمظاهر . لتقروا بأن الله واحد لا شريك له وأن محمد صلى الله عليه وسلم رسوله ولتقفوا عند حدود الشرع ولا تتعدوها وأن للكافرين الجاحدين . بحدود الله عذاب جهنم .

---

(١) القرطبى حـ ١٧ ص٢٨٦ .

(٢) فتح القدير حـ ٥ ص١٨٢ .

(وأطلق على من يتعدى حدود الله ــ كافر ــ تغليظا وتشديـــدا للزجر لمن تعدى حرمة الله • كما قال فى المتهاون فى أداء فريضة الحـــج " ومن كفر فان الله غنى عن العالمين " (١)) (٢) • ذكر المولى عز وجـــل الكفارة هنا مرتبة • فلا يجوز الصوم الا اذا تعذر عليه عتق الرقبة ولا يجـــوز له الاطعام الا اذا تعذر عليه الصوم •

والله أعلـــم • ...

---

(١) سورة آل عمران آية ٩٧ •

(٢) تفسير المراغى حـ ٢٨ ص٨ بالمعنى •

الآيـة الخامسـة :

قال تعالى : " ان الذين يحادون الله ورسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم وقد أنزلنا آيات بينات وللكافرين عذاب مهين " (١) .

المعانى اللغويـة :

يحادون : أى يمانعون فذلك اما اعتبارا بالممانعة واما باستعمال الحديد (٢) أى يخالفون ويعادون الله ورسوله

كبتوا : الكبت الرد بعنف وتذليل (٣) والمراد بها هنا ذلوا وأهينوا .

آيات بينات : أى دلائل واضحه .

عذاب مهين : أى عذاب مذل .

مناسبة الآية لما قبلها :

بعد أن ذكر المولى عز وجل الظهار وما يترتب عليه من كفارة ، بين أنه عز وجل شرعها ـ أى الكفاره ـ تغليظا للناس حتى يقلعوا عن هذه العادة السيئة التى جلبوا عليها فى الجاهلية وأن يتبعوا أوامر الله والرسول فتصفوا نفوسهم عن أردف هذا ببيان أنه من يشاقق الله والرسول ويعاند ويكابر

---

(١) سورة المجادلة آية ٥ .

(٢) المفردات فى غريب القرآن ص ١١٠ .

(٣) المرجع السابق ص ٤٢٠ .

ويبتعد عما جاء فى الكتاب الحكيم يلحق به الخزى والزل والهوان فــــى الدنيا والآخره .

الشرح التحليلى للآية :

قال تعالى : " ان الذين يحادون الله ورسوله كبتوا كما كبت الذيــــن من قبلهم " .

أى ان الذين يختارون لأنفسهم حدودا غير واحده الله والرسول وشاقوا الله ورسوله وعصوه وتمردوا على ماجاء به فى كتابه من حدود سيلحقهم الخزى والهوان فى الدنيا والاخره كما حدث للامم السابقة الذين حادوا الله ورسله .

قال الإمام أبوالسعود : (أى يحادونهما ويشاقونهما فان كلا مــــن المتعاديين كما انه يكون فى عدوة وشق غير عدوة الاخرة وشقه كذلك يكون فى حد غير حد الاخر غير أن لورود المحادة فى أثناء ذكر حدود الله دون المعاداة والمشاقة من حسن الموقع مالا غاية وراءه .

(كبتوا) أى أخروا . وقيل خذلوا وقيل أذلوا وقيل أهلكوا وقيــــل لعنوا وقيل غيظوا) (١) .

(وقيل (٢) أن أصل الكبت) ــ الكبد ــ وأبدلت (الدال) (تــاء)

---

(١) تفسير أبوالسعود حـ ٥ ص٦٩٤ .

(٢) جاء فى تفسير روح المعانى أن القائل هو ابى عبيده حـ٢٨ ص٢٢ .

والاصل كيدوا أى أصابهم داء فى أكبادهم ، وقال السدى : لعنوا ، وقيل : الكبت الكب وهو الالقاء على الوجه ، وفسره الراغب هنا بالرد بعنف وتذليل[1] (وذلك اشارة عند الاكثرين الى ماكان يوم الخندق ، وقيل : الى ماكان يوم بدر ، وقيل : معنى (كبتوا) سيكبتون على طريقة قوله تعالى : (أتى أمـــر الله) وهو بشارة للمؤمنين بالنصر على الكفار وتحقق كبتهم) [2] .

وهنا عبر بالفعل الماضى (كبتوا) لتحقق وقوع الخبر وهو الخزى والهوان بالكافرين .

قوله تعالى : (كما كبت الذين من قبلهم) والمعنى أذلوا وأهينـــوا كما أهين كفار الامم الماضية المعادين ، المشاقين للرسل عليهم السلام .

قوله تعالى : (وقد أنزلنا آيات بينات) والمعنى وكيف يحادون عـــن أحكام الله وشريعته وقد أنزل وبين الله لهم بالأدلة الواضحة أحكام وحـــدود ومعالم الشريعة السمحاء .

قال الإمام الالوسى (قد أنزلنا آيات بينات) حال من واو (كبتـــوا) أى كبتوا لمحادتهم ، والحال أنا قد أنزلنا آيات واضحات فيمن حاد اللـــه تعالى ورسوله من قبلهم من الأُمم وفيما فعلنا بهم ، وقيل : آيات تدل علـــى

---

(١) الالوسى حـ ٢٨ ص٢٢ .

(٢) انظر المعنى فى ابى السعود حـ ٥ ص٦٩٤ والالوسى حـ ٢٨ ص٢٢ والمراغى حـ ٢٨ ص٩ .

صدق الرسول وصحة ماجاء به) (١) .

قوله تعالى : (وللكافرين عذاب مهين) والمراد بالكافرين أى الكافرين بكل مايجب الايمان به وتدخل فيه تلك الآيات دخولا أوليا .

وقوله : (عذاب مهين) أى مذل يذهب بعزهم وكبرهم .

والخلاصة أن لهؤلاء المعاندين المحادين لله وللرسول لهم عذابا شديدا مذلا فى الدنيا والآخرة .

الآيـة السادسـة :

قال تعالى : " يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا ، أحصاه الله ونسوه ، والله على كل شئ شهيد " (١) .

المعانى اللغويـة :

يوم يبعثهم الله جميعا : أى يوم القيامة .

فينبئهم : فيخبرهم (٢) .

أحصاه : جمعه وأعده .

نسوه : أى تركوه (٣) .

والله على كل شئ شهيد : أى لا يغيب عنه شئ .

الشرح التحليلى للآيـة :

فى هذه الآية يذكرهم المولى عز وجل بحالهم يوم القيامة يوم يجمع الله

---

(١) الاية رقم ٦ من سورة المجادلة .

(٢) النبأ خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة ظن . ولا يقال للخبر فى الأصل نبأ حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة . المفردات فى غريب القرآن ص٤٨٠ .

(٣) النسيان ترك الانسان ضبط ما استودع اما لضعف قلبه ، واما عن غفلة واما عن قصد حتى ينحذف عن القلب ذكره ، يقال نسيته نسيانا . المفردات فى غريب القرآن ص٤٩١ .

الاولين والاخرين ويخبرهم بما اقترفوه من ذنوب على رؤس الاشهاد تشهيرا لهم وخزيا وقد كانوا نسوه ولكن الله على كل شئ شهيد فهو يعلم السر وما أخفى .

قوله تعالى : (يوم يبعثهم الله) منصوب بما تعلق به اللام من الاستقرار أو ـ بمهين ـ أو بإضمار اذكر أى اذكر ذلك اليوم تعظيما له وتهويلا ، وقيل : منصوب بيكون مضمرا على أنه جواب لمن سأل متى يكون عذاب هؤلاء ؟ فقيل له : (يوم يبعثهم) أى يكون يوم يبعثهم . وقيل : بالكافرين وليس بشئ . و (جميعا) حال مؤكدة بجمعه كل شئ يوم القيامه وباحضاره جميع المخلوقات .

والمعنى : يبعثهم الله جميعا يوم القيامة بحيث لا يبقى منهم أحد غير مبعوث .

ويجوز أن تكون (جميعا) حال غير مؤكده . والمعنى : أى يبعثهم مجتمعين فى صعيد واحد (١) .

وجاء فى تفسير المراغى أن فى قوله تعالى : (يوم يبعثهم الله جميعا) شديد الوعيد ، والتقريع العظيم ، ليعرفوا أن ماحاق بهم من العذاب كان من جراء أعمالهم وقبيح أفعالهم (٢) .

---

(١) انظره فى تفسير الالوسى حـ ٢٨ ص ٢٣ وتفسير ابوالسعود حـ٥ص ٦٩٥

(٢) تفسير المراغى حـ ٢٨ ص ١٠ .

قال تعالى : (فينبئهم بما عملوا) أى يخبرهم المولى عز وجل عما عملوا (من القبائح ببيان صدورها عنهم أو بتصويرها فى تلك النشأة بما يليق بها من الصور الهائلة على رؤس الاشهاد تخجيلا لهم وتشهيرا بحالهم وزيادة فى خزيهم ونكالهم) (١) .

قوله تعالى : (أحصاه الله) استئناف كأن سائل قد سأل عن كيفية التنبئة أو عن سببها . كأنه قيل : كيف ينبئهم بأعمالهم وهى أعراض منقضية متلاشية ؟ فيكون الجواب : قد أحصاه المولى عز وجل وعده .

وقوله تعالى : (ونسوه) حال من مفعول ـ أحصى ـ باضمار قد أو بدونه . أو قيل : لم ينبئهم بذلك ؟ فقيل : أحصاه الله تعالى ونسوه فينبئهم به ليعرفوا أن ماعاينوه من العذاب انما حاق بهم لأجله .

وفيه مزيد توبيخ وتنديم لهم غير التخجيل والتشهير .

قال تعالى : (والله على كل شئ شهيد) الجملة القرآنية اعتراض تزييلى قررت مضمون ما قبلها من احصائه تعالى لأعمالهم وأنه لا يخفى عليه شئ مهما صغر أو كبر . نسى أو ذكر .

---

(١) تفسير ابو السعود حـ ٥ ص ٦٩٥ والالوسى حـ ٢٨ ص ٢٣ .

الآية السابعة :

قال تعالى : " ألم تر أن الله يعلم مافى السماوات وما فى الأرض ما يكون من نجوى ثلاثه الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شئ عليم " (١) .

المعانى اللغوية :

ألم تر : ألم تعلم ٠

مايكون من نجوى : أى مايوجد من التناجى والمسارة (٢) .

ولا أدنى من ذلك : أى أقل من الثلاثة وهما الاثنان ٠

الا هو معهم أينما كانوا : أى هو معهم فى أى مكان كانوا ٠

مناسبة الآية لما قبلها :

هذه الآية تقرير وتأكيد لما سبق من احاطة وشمول علم الله بكل شئ ٠ وأن هذا الانباء انما هو لزيادة التقريع والتوبيخ يوم الموقف على رؤس الاشهاد

---

(١) الآية رقم (٧) من سورة المجادله ٠

(٢) وناجيته أى ساررته ، وأصله أن تخلو به فى نجوه من الارض وقيل أصله من النجاة وهو أن تعاونه على مافيه خلاصه ٠ أو أن تنجو بسرك من أن يطلع عليك ٠ المفردات فى غريب القرآن ص ٤٨٤ ٠

فيكون ذلك أبلغ وأنكى وأشد ايلاما لهم ٠

وقال أبو السعود : أن قوله تعالى : (ألم تر أن الله يعلم مافـــــــى السماوات وما فى الارض) استشهاد على شمول شهادته تعالى كما فى قولـــه تعالى : " ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه " (١) وفى قوله تعالـــى : " ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون " (٢) اى ألم تعلم علما يقينيا متاخمـــا للمشاهدة أنه تعالى يعلم مافيهما من الموجودات سواء كان ذلك بالاستقرار فيهما أو بالجزئية منهما) (٣).

الشرح التحليلى :

قوله تعالى : " ألم تر أن الله يعلم مافى السماوات والأرض" ألم تعلـم يامحمد ان الله تعالى يعلم مايدور فى السماوات والأرض من دقيق الاشيـــاء وعظيمها وأن علمه وسع كل شئ ٠

قوله تعالى : " مايكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمســة إلا هو سادسهم ، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا " ٠ قيـــل انه استئناف مقرر لما قبله من سعة علمه تعالى ومبين لكيفيته ويكون من كـــان التامة ٠ وقرئ تكون بالتاء اعتبار التأنيث النجوى وان كان غير حقيقى أى مايقع

---

(١) سورة البقرة آية ٢٥٨٠

(٢) سورة الشعراء آية ٢٢٥٠

(٣) تفسير ابو السعود حـ ٥ ص ٦٩٥٠

من تناجى ثلاثة نفر أى من مسارتهم على أن نجوى مضافة الى ثلاثة أو على أنها موصوفة بها اما بتقدير مضاف أى من أهل نجوى ثلاثة أو بجعلهم نجوى فى أنفسهم مبالغة (١).

قال الزمخشرى على أن النجوى تأنيثها غير حقيقى ، و (من) فاصلة أو على أن المعنى مايكون شئ من النجوى واختار فى الكشاف الثانى ، نقال هو الوجه لأن المؤنث وحده لم يجعل فاعلا لفظا لوجود (من) ولا معنى لأن المعنى شئ منها ، فالتذكير هو الوجه لفظا ومعنى وهو قراءة العامة) (٢).

ونقل الألوسى فى كتابه روح المعانى (أن صاحب اللوامح أنه صرح بأن الاكثر فى هذا الباب التذكير .ورد عليه أبو حيان بالمنع وأن الاكثر التأنيث وأنه القياس) (٣).

قوله تعالى : (مايكون من نجوى) أى مايكون من ذوى نجوى أى اصحاب نجوى .

والمعنى : ألم تعلم يامحمد أن الله تعالى يعلم كل شئ فى السماوات والأرض فلا يتناجى ثلاثة إلا والله معهم يعلم مايقولون وما يدبرون . ولا خمسة

---

(١) تفسير ابو السعود حـ ٥ ص ٦٩٥ .

(٢) تفسير الزمخشرى حـ ٤ ص ٧٣ .

(٣) تفسير روح المعانى حـ ٢٨ ص ٢٣ .

إلا والله سادسهم ولا نجوى أقل من هذه الأعداد ولا أكثر منها إلا والله يعلمها ويعلم مايدور فيها فلا يخفى عليه شيء وهو علام الغيوب .

قال ابوبكر الجزائري : (فائدة المعية في قوله تعالى : (إلا هو معهم) العلم والقدرة على الأخذ والعطاء) (١) فهو معهم بعلمه واحاطته بكل شيء سواء كان فوق الأرض والسماء أو تحتهما .

وهنا يتبادر للعقول : لماذا خص المولى عز وجل هذه الاعداد بالذكر؟ قال الشيخ المراغي هنا (وانما خص هذه الأعداد ، لأن أقل مالابد منه في المشاورة التي يكون الغرض منها تدبير المصالح العامة ثلاثة فيكون الاثنان كالمتنازعين نفيا واثباتا ، والثالث كالحكم بينهما ، وحينئذ تكمل المشورة ويتم الغرض ، وهكذا في كل جمع اجتمعوا للمشورة لابد من واحد يكون حكما مقبول القول ، ومن ثم يكون عدد رجال المشورة فردا كما جاء في الآية ، ونحوها قوله : " ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب" (٢) وقوله : " أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم ؟ بلى ورسلنا لديهم يكتبون " (٣)) (٤) .

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري جـ٥ جـ ٢٨ ص ٢٨٧ .

(٢) سورة التوبة الآية ٧٨ .

(٣) سورة الزخرف آية ٨٠ .

(٤) تفسير المراغي جـ ٢٨ ص ١١ .

قال الامام أبوالسعود وتخصيص العددين بالذكر (اما لخصوص الواقعة فان الآية نزلت فى تناجى المنافقين ، واما لبناء الكلام على أغلب عادات المتناجين . وقد عم الحكم بعد) (١) .

ونحن نعلم أن ذكر الأعداد فى الآية لا يتطلب حصر المناجاة فيها وإنما هى مثال لاقل المناجاة وهى ثلاثة الى أن تزيد فقد تكون بين ثلاثة وقد تكون بين خمسة وقد تكون بين أكثر من ذلك .وقوله تعالى (ولا أدنى من ذلك) اى من العدد ثلاثة وهو الواحد والاثنين . وقوله (ولا أكثر)كالسته وما فوقها الا يعلم مايجرى بينهم فى أى مكان كانوا باختلاف الامكنة قربا أو بعدا .

قال تعالى : " ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شئ عليم "

(قوله تعالى : " ينبئهم " قرئ بالتخفيف والهمز ، وقرأ زيد بن على بالتخفيف وترك الهمز وكسر الهاء) (٢) .

والاخبار هنا تفضيحا ، وتقريعا لهم وتوبيخا ، وأنه يكون يوم القيامة فى المشهد العظيم وذلك أدعى الى مزيد الايلام والحسرة والخزى والعار وذلك اظهارا لما يوجب عذابهم .

وقوله تعالى : (ان الله بكل شئ عليم) .

---

(١) تفسير ابوالسعود حـ ٥ ص ٦٩٥ .

(٢) تفسير الالوسى حـ ٢٨ ص ٢٥ .

ختم عز وجل الآية الكريمة بالعلم أيضا وتعتبر تقريرا لما سبق من علمه بالمحادين له والمنافقين والمناجين ويترتب على هذا بأنه سيجرى كل بما عمل .

قال الشيخ المراغى (أى ثم ينبىء هؤلاء المتناجين بما عملوا من عمل يحبه أو يسخطه يوم القيامة ، وانه لعليم بنجواهم وأسرارهم لا تخفى عليه خافية من أمرهم) (١) .

قال الامام أبو السعود عند تفسيره لقوله تعالى : " ان الله بكل شىء عليم " (لأن نسبة ذاته المقتضية للعلم الى الكل سواء) (٢) .

---

(١) تفسير المراغى جـ ٢٨ ص ١١ .

(٢) تفسير ابوالسعود جـ ٥ ص ٦٩٦ .

الآيـة الثامنـة :

قال تعالى : " ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول واذا جاءوك حيوك بما لـم يحيك به الله ويقولون فى أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير " (١).

المعاني اللغوية :

الذين نهوا : النهى هو الزجر عن الشىء (٢) والمراد اليهود والمنافقون .

ثم يعودون لما نهوا : أى من التناجى تعمدا لأذية المؤمنين .

الاثم : الاثم هو الذنب والمعصية .

والعدوان : الاعتداء وعداوة الرسول والمؤمنين .

ومعصية الرسول : عدم طاعته .

بما لم يحيك به الله : قولهم السام عليك .

يقولون فى أنفسهم : أى سرا بينهم .

لولا يعذبنا الله : أى لو كان نبيا لعاجلنا الله بالعذاب .

حسبهم جهنم : أى يكفيهم مصيرهم ومآلهم وهو عذاب النار .

---

(١) الآية رقم ٨ من سورة المجادلة .

(٢) المفردات فى غريب القرآن ص ٥٠٧ .

يصلونها : أى يقاسون حر نارها .

سبب النزول :

(قال ابن عباس ومجاهد : نزلت فى اليهود والمنافقين ، وذلك أنهم كانوا يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين وينظرون الى المؤمنين ويتغافرون بأعينهم ، فاذا رأى المؤمنون نجواهم قالوا : ماتراهم الا وقد بلغهم عن أقربائنا واخواننا الذين خرجوا فى السرايا قتل أو موت أو مصيبة أو هزيمة فيقع ذلك فى قلوبهم ويحزنهم ، فلا يزالون كذلك حتى يندم أصحابهم وأقرباؤهم ، فلما طال ذلك وكثر ، شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمرهم أن يتناجوا دون المسلمين فلم ينتهوا عن ذلك وعادوا الى مناجاتهم ، فأنزل اللهتعالى هذه الآية) .

قوله تعالى : (واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله) .

أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر الخشاب قال : أخبرنا أبو اسحاق ابراهيم بن عبد الله الاصفهانى قال : أخبرنا محمد بن اسحاق السراج قال : أخبرنا قتيبة بن سعيد قال : أخبرنا جرير عن الاعمش ، عن أبى الضحى ، عن مسروق ، عن عائشة قالت : جاء ناس من اليهود الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا : السام عليك يا أبا القاسم ، فقلت : السام عليكم وفعل الله بكم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مه يا عائشة فان الله تعالى لا يحب الفحش ولا التفحش ، فقلت : يارسول الله ألست أدرى مايقولون ؟ قال :

ألست ترين أرد عليهم مايقولون ؟ أقول : وعليكم ، ونزلت هذه الآية فى ذلك ـ واذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله ـ) (١) .

أخبرنا أبو سعيد محمد بن عبد الرحمن الغازى قال : أخبرنا أبو عمر ومحمد ابن أحمد الحيرى قال : أخبرنا أحمد بن على بن المثنى قال : أخبرنا زهير بن محمد قال : أخبرنا يونس بن محمد قال : أخبرنا شيبان ، عن قتادة ، عن أنس أن يهوديا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : السلام عليك ، فرد القوم ، فقال نبى الله صلى الله عليه وسلم : هل تدرون ماقال ؟ قالوا الله ورسوله أعلم يانبى الله ، قال : لا ، ولكن قال السام عليكم ردوه ، فردوه عليه ، فقال : قلت السام عليكم قال : نعم ، فقال نبى الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك : اذا سلم عليكم أحد من أهل الكتاب فقولوا : أى عليك ماقلت ، ونزل قوله تعالى ـ واذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله ـ) (٢) .

مناسبة الآية لما قبلها :

بعد أن ذكر المولى عز وجل أنه يعلم السر ومايخفى عليم بما يكون من التناجى بين الثلاثة والأكثر والأقل ، خاطب الرسول صلى الله عليه وسلم

---

(١) اخرجه البخارى ، كتاب الاستئذان باب كيف يرد على أهل الذمة السلام حـ ٨ ـ ٧١ فتح البارى ـ الدارمى فى كتاب الاستئذان باب السلام على أهل الكتاب حـ ٢ ص٢٧٦ .

(٢) أسباب نزول للواحدى ص٢٧٥ ، ٢٧٦ ، أخرجه ابن ماجه فى السنن حـ ٩ ـ ١٢١٩ حديث رقم (٣٦٩٩) .

متعجبا من حال اليهود والمنافقين الذين نهوا عن النجوى بالعدوان ومع ذلك فهم يتناجون ولم ينتهوا . ثم ذكر المولى عز وجل أنهم كان يحيون الرسول بقولهم (السام عليك) أي الموت والهلاك وهم يقولون في أنفسهم لو كان رسولا من عند الله لعجل المولى عز وجل بعقابنا ونسوا أن المولى عز وجل حليم لا يعاجل بالعقوبة .

ونذكر هنا كلمة ابن العربي (جهل هؤلاء اليهود أن الله تعالى حليم لا يعاجل بالعقوبة من سبة فقد قال صلى الله عليه وسلم : (لا أحد أصبر على الأذى من الله يدعون له الصاحبة والولد وهو يعافيهم ويرزقهم)(١)

الشرح التحليلي للآية :

قال تعالى : (ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه) ، الخطاب في قوله تعالى : (ألم تر) الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والهمزة للتعجب من حال اليهود والمنافقين حيث إنهم الذين نهو عن التناجي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين .

وقوله تعالى : (يعودون) بصيغة المضارع للدلالة على تكرار هذا الفعل منهم وتجدده ، ولاستحضار صورته العجيبة .

---

(١) قول ابن العربي بهامش أيسر التفاسير م ٥ حـ ٢٨ ص ٢٩٠ .
الحديث اخرجه البخاري في صحيحة كتاب الادب باب الصبر على الاذى حـ ١٠ ص ٥١١ .

قال تعالى : (ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول) • بين المولى عز وجل أن هوءلاء القوم الذين نهوعن النجوى ـ وهى المحادثة السرية أمام الناس ـ ولم ينتهوا عصيانا وتمردا وعنادا لرسول الله صلى الله عليهوسلم انما يتناجون بالذنب والمعصية •

وقال الإمام الألوسى رحمه الله إن هذا (عطف عليه داخل فى حكمه أى ويتناجون بما هو اثم فى نفسه ووبال عليهم وتعد على المؤمنين وتواصى بمخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم • وذكره عليه الصلاة والسلام بعنوان الرسالة بين الخطابين المتوجهين ـ واليه صلى الله عليه وسلم ـ لزيادة تشنيعهم واستعظام معصيتهم) (١) •

وذكر الشيخ المراغى أن قوله تعالى : (ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول) بيان مابه يتناجون) (٢) • لان التناجى اذا كان فى البر والتقوى بما يتضمنه خير المؤمنين وتقوى اللهورسوله صلى الله عليهوسلم فهو مطلوب مرغوب فيه • (وقرأ حمزة • وطلحة • والأعمش • ويحيى بن وثاب ورويس ـ وينتجون ـ بنون ساكنة بعد الياء وضم الجيم مضارع انتجى • وقرأ أبو حيوة ـ العدوان ـ بكسر العين حيث وقع • وقرئ ـ معصيات ـ بالجمع ونسبت فيما بعد الى الضحاك) (٣) •

---

(١) تفسير الامام الالوسى حـ ٢٨ ص٢٦ وكذلك أنظره فى تفسير الامام أبو السعود حـ ٥ ص٦٩٦ •
(٢) تفسير المراغى حـ ٢٨ ص١٣ •
(٣) الالوسى حـ ٢٨ ص٢٦ •

ثم ذكر المولى عز وجل جرما آخر لهؤلاء القوم العاصين المعاندين أنهم اذا جاءوا الرسول صلى اللهعليه وسلم لم يحيه بتحية الإسلام التى حياها الله بها وهى (السلام عليكم) بل يقولون ـ السام عليكم ـ وهو الموت والهلاك •

يقول الإمام أبو السعود (يقولون السام عليك أو أنعم صباحا والله سبحانه يقول : (وسلام على المرسلين)) [١] •

وهو قوله تعالى : (واذا جاءك حيوك بما لم يحيك به الله) •

وهنا يحضرنا رواية الإمام البخارى ومسلم [٢] من قول اليهودى للرسول صلى الله عليه وسلم ـ السام عليكم ـ ورد السيدة عائشة عليه • قال تعالى (ويقولون فى أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول) أى أنهم يفعلون هذا ويقولون مايحرفون من الكلام وايهام السلام وهم يريدون شتمه • ثم يقولون بينهم سرا لوكان نبيا من عند الله لعجل الله العذاب بنا لانه يعلم مانسره فى نفوسنا وما تحرفه فى كلامنا •

وقال الإمام الألوسى فى قوله تعالى : (لولا يعذبنا الله بما نقول) أى هلا يعذبنا الله تعالى بسبب ذلك لوكان محمد صلى الله تعالى عليه وسلم نبيا ـ أى لوكان نبيا عذبنا الله تعالى بسبب مانقول من التحية • أوفق

---

(١) تفسير ابوالسعود حـ٥ ص٦٩٦ الاية رقم ١٨١ من سورة الصافات•

(٢) مذكورة فى ص من الكتاب •

بالأول لأن أنعم صباحا دعاء بخير والعدول إليه عن تحية الإسلام التى حيا الله تعالى بها رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وأشير اليها بقوله تعالى (سلام على المرسلين) [١] (وسلام على عباده الذين اصطفى) [٢] وما جاء فى التشهد – السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته – ليس فيه كثير اثم يتوقع معه التعذيب الدنيوى حتى إنهم يقولون ذلك اذا لم يعذبوا اللهم إلا إذا انضم اليه أنهم قصدوا بذلك تحقيرا واعلانا بعدم الاكتراث ، ولعل قائل ذلك هم المنافقون من المشركين وهو أظهر من كون قائله اليهود .

وحكم التحية به اليوم أنها خلاف السنة ، والقول بالكراهة غير بعيد . وأنعم صباحا نحو صبحك الله بالخير ، غاية مافى الباب أنه دعاء كان يستعمل تحية فى الجاهلية ، نعم تحيتهم به له عليه الصلاة والسلام على الوجه الذى قصدوه حرام بلا خلاف ولا يستحق مبتدى بنحو صبحك الله بالخير أو قولك الله جوابا ودعاوءه له فى نظيره حسن إلا أن يقصد باهماله له تأديبه لتركه سنة الاسلام) [٣] .

قال تعالى : (حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير) . رد من المولى عز وجل عليهم بأن جهنم وما فيها من العذاب والمهانة تكفيهم عقابا ونكالا

---

(١) سورة الصافات آية ١٨١ .

(٢) سورة النمل آية ٥٩ .

(٣) تفسير الامام الالوسى حـ ٢٨ ص٢٦ ، ٢٧ .

وهى بئس المرجع والمآل يصلون حر نارها ويقاسون فيها ألوان العذاب ٠

اختلف فى جواز وضع السلام على أهل الكتاب والذى عليه الجمهـــور جوازه للسنه الصحيحة فى ذلك ويرى بعضهم وجوب الرد لعموم الآية ٠ " فحيوا بأحسن منها أو ردوها " (١) .

---

(١) سورة النساء آية ٨٦٠

تحريم ابتداء الكفار بالسلام وكيفية الرد عليهم واستحباب السلام على أهل مجلس فيهم مسلمون وكفار

تحريم ابتداء الكفار بالسلام
وكيفية الرد عليهم واستحباب السلام
على أهل مجلس فيهم مسلمون وكفار

عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

" لاتبدءوا اليهود ولا النصارى بالسلام ، فاذا لقيتم أحدهم فى طريق فاضطروه الى أضيقه " (١) . أى الجئوه بالتضييق عليه الى أضيقه (٢) .

وجاء فى كتاب الاستعانة بغير المسلمين فى الفقه الاسلامى أن (هذا الحديث نهى عن بدء اليهود والنصارى بالسلام ، وأمر بأن يضطر الواحد منهم الى أضيق الطريق عند اللقاء .

فهنا مسألتان :

أما الاولى : (وهى عدم البداءة بالسلام) :

فهى مسألة مشهورة والخلاف فيها مشهور ففيها نحو أربعة أقوال

---

(١) صحيح الإمام مسلم ـ كتاب الاستئذان باب السلام جـ ١٤ ص١٥٠ .
مسند احمد جـ ٢٧ ص٦٦ .
والإمام الترمذى ـ كتاب الاستئذان باب التسليم على أهل الذمة جـ٥ ص ٦٠ ، وأبو داود كتاب الأدب باب فى السلام على أهل الذمة جـ ٤ ص ٣٥٢ .

(٢) رياض الصالحين ص٢٩٤ ـ ١٣٤ باب تحريم ابتداء الكفار بالسلام وكيفية الرد عليهم واستحباب السلام على أهل مجلس فيهم مسلمون وكفار

أحدهما : التحريم ، وثانيها : الكراهة ، وثالثها : الإباحة ، ورابعها ، أنه لا يجوز السلام إلا فى حالة الضرورة أو حاجة أو سبب حكى هذه الأقوال الامام النووى (١) وغيره واختار التحريم . وقال : إنه قول أكثر العلماء .

ونحن نميل الى المنع إلا اذا كان ثمة حاجة وبتقريرنا رجحان المنع فان ذلك ليس فيه اخلال بالوصايا السابقة (٢) . فعدم البداءة بالسلام لا يعنى سبا ولا سخرية ولا نحو . لكن الذى قد يعطى نوعا من هذا هو عدم رد السلام ، والسلام يأمر برده على كل أحد . لكن صيغته تختلف بحسب الاحوال . فاذا شك المسلم بصيغة السلام من قبل الكافر فليقل : (وعليكم ، فحسب) .

وهنا نذكر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : " واذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا : وعليكم " (٣) . (وان علم أنه سلم تسليما صحيحا فلا مانع أن يرد ردا كاملا : فيقول : وعليكم السلام) (٤) .

---

(١) شرح النووى على صحيح الامام مسلم حـ ١٤ ص١٤٤، ١٤٥ ، فتح البارى حـ ١١ ص٣٩ .

(٢) يعنى الوصايا بحسن معاملة غير المسلمين لأنها من أخلاق الإسلام .

(٣) حديث متفق عليه أخرجه البخارى فى صحيحة كتاب الاستئذان بـاب كيفية الرد على أهل الذمة ـ السلام حـ ٨ ص٤٢ .

(٤) الاستعانة بغير المسلمين فى الفقة الاسلامى د عبد الله بن ابراهيم الصريقى . ص٢٩ .

المسألة الثانية : وهى اضطراره الى أضيق الطريق • نقول : بأن هذا كناية عن اظهار عزة الاسلام وذلة الكفر وأن المسلم لا يظهر امام الكافر بالمظهر المستخذى ، ولكن بالمظهر اللائق به بصفته مسلما ، لأنه هو الذى يمثل الحق على هذه الارض فاذا التقى مسلم وغيره فى طريق فليكن المسلم عزيزا رافع الرأس وليأخذ من الطريق أوسعه ، ولا يستذل للكافر فيفسح له الطريق ويبقى هو لاجئا الى أضيقه خاضعا مستخذيا •

يقول القرطبى فيما حكاه عنه ابن حجر حول هذا الحديث : معناه لاتتنحوا لهم عن الطريق الضيق اكراما لهم واحتراما ، وعلى هذا فتكون هذه الجملة مناسبة للجملة الاولى فى المعنى ، وليس المعنى اذا لقيتموهم فى الطريق الواسع فالجئوهم الى حرفه حتى يضيق عليهم لأن ذلك أذى وقد نهينا عن أذاهم بغير سبب (١) وفعل المسلم هذا ليس منطلقه الكبر والزهو وانما هو عزة الاسلام والحق •

ومن هنا نقول : ان هذا الحديث لا يتنافى ماذكرناه من مشروعية التأدب معهم والرفق بهم) (٢) .

---

(١) فتح البارى حـ ١١ ص ٤٠ ، شرح النووى على صحيح مسلم حـ ١٤ ص ص ١٤٧ ، عون المعبود شرح سنن ابى داود حـ ١٤ ص ١١١ ، ١١٢ •

(٢) الاستعانة بغير المسلمين فى الفقة الاسلامى د • عبد الله الصريقى ص ٣٠ ، ٣١ •

(وعن أسامة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم مر على مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين ـ عبدة الأوثان واليهود ـ فسلم عليهم النبى صلى الله عليه وسلم) (١) .

---

(١) متفق عليه : صحيح البخارى كتاب الاستئذان باب التسليم فى مجلس فيه اخلاط من المسلمين حـ ٨ ص٣٨ ، ص٣٩ .

الآيــة التاسعــة :

قال تعالى : " يا أيها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثــم والعدوان ومعصية الرسول ، وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا اللهالذى اليـــه تحشرون " (١) .

المعانى اللغويــة :

البر : التوسع فى فعل الخير (اسم جامع لمعانى الخير) .

التقوى : الوقاية هى حفظ الشئ مما يؤذيه ويضره (٢) . وتتمثل فى طاعـــة الله والرسول صلى الله عليه وسلم .

تحشرون : الحشر اخراج الجماعة عن مقــرهم وازعاجهم (٣) والمراد بها هنا جمعهم يوم القيامة لأنه سمى يوم الحشر .

مناسبة الآية لما قبلها :

بعد أن بيَّن المولى عز وجل أن تناجى اليهود والمنافقين كان الدافع إليه الاثم والعدوان ومعصية الرسول صلى الله عليه وسلم وبعد أن فضحهـــم ببيان تحيتهم الخادعه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوتهم عليه بالموت .

---

(١) الاية رقم ٩ من سورة المجادلة .

(٢) المفردات فى غريب القرآن ص ٥٣٠ .

(٣) المفردات فى غريب القرآن ص ١١٩ .

نادى عبادة المؤمنين مؤدبا لهم ألا يكونوا مثل اليهود والمنافقين وان استدعى الأمر للتناجى لابد أن يكون فى أعمال الخير ولطاعة الله والرسول صلى الله عليه وسلم وذلك تهذيبا لهم وتوجيها لأخلاقهم لأنهم خير أمة أخرجت للناس .

الشرح التحليلى للآية :

قوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا اذا تناجيتم " أى أسر بعضكم الى بعض فى انديتكم وخلواتكم .

وقوله تعالى : (فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول) أى فلا يكون التناجى بينكم فى الذنوب والعدوان وعدم طاعة الله ورسوله كما فعل اليهود والمنافقين .

قال الامام الالوسى رحمة الله عليه (فالخطاب للخلص تعريضا بالمنافقين وجوز جعله لهم وسموا مؤمنين باعتبار ظاهر أحوالهم) (١) .

(وقرأ الكوفيون والأعمش وأبو حيوة ورويس ـ فلا تنتجوا ـ مضارع انتجى ، وقرأ ابن محيصن ـ فلا تناجوا ـ بادغام التاء فى التاء ، وقرىء بحذف احداهما) (٢) .

---

(١) تفسير روح المعانى للالوسى حـ ٢٨ ص ٢٧ .
(٢) تفسير الالوسى حـ ٢٨ ص ٢٦ .

وقال الجمهور : إن حرمة تناجي الاثنين دون الثالث والثلاثة دون الرابع وهكذا ، هو باق على تحريمه وليس مخصوصا بحالة الحرب كما في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن الفاظ الحديث عامة . منها حديث الصحيح عن ابن عمر : (إذا كان ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الواحد) (١)

وقوله صلى الله عليه وسلم : (اذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الاخر حتى تختلطوا بالناس من أجل أن يحزنه) (٢).

قال تعالى : (وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذى اليه تحشرون) والمعنى تناجوا بما هو خير لكم وللمؤمنين واتقوا الله فيما تقولون وتفعلون واجعلوا بينكم وبين عذاب الله وقاية لأنكم ستحشرون يوم القيامة وسيحاسبكم الله وحده، لا شريك له وسيجازيكم بما كنتم تقولون وتفعلون .

---

(١) اخرجه البخارى فى صحيحة كتاب الاستئذان باب اذا كانوا اكثر من ثلاثة فلا يأس بالمساوة والمناجاه حـ ٨ ص ٨٢ ، ٨٣.

(٢) احمد بن حنبل حـ ٢ ص ٩ ، ٤٣.

الآيـة العاشـرة :

قال تعالى : (انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيئا إلا باذن الله ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون) (١) .

المعانى اللغويـة :

إنما النجوى من الشيطان : انما النجوى بالاثم والعدوان بتغرير من الشيطان

ليحزن الذين آمنوا : ليوهمهم أنها بسبب شيء وقع مما يؤذيهم ٠

وليس بضارهم شيئا الا باذن الله : أى وليس التناجى بضار أحد الا بارادة الله تعالى ٠

وعلى الله فليتوكل المؤمنون : أى يجب على المؤمنين أن يفوضوا أمرهم لله وحده ٠

مناسبة الآية لما قبلها :

بعد أن بين المولى عز وجل أن تناجى اليهود والمنافقين بالاثم والعدوان ومضارة ومعصية الرسول صلى الله عليه وسلم بين فى هذه الآية الدافع والباعث على هذه النجوى والمزين لها هو الشيطان وأن العلة فى ذلك احزان المؤمنين ٠

---

(١) آية رقم ١٠ من سورة المجادلة ٠

الشرح التحليلى :

قوله تعالى : (انما النجوى من الشيطان) يخبرنا المولى عز وجل أن التناجى بالاثم والمعصية والعدوان انما هو من فعل الشيطان وتزيينه .

قوله تعالى : (من الشيطان) أى هو الحامل عليها فهى من عمله لا من غيره .

قوله تعالى : (ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيئا الا باذن الله) أى أن السبب الذى دفع الشيطان الى هذا الفعل ليسوء الذين آمنوا بايهامهم أن ذلك فى مصيبة أصابتهم ، وذكر الامام الالوسى فى تفسيره (قرىء لاليحزن) بفتح الياء والزاى) ـ الذين ـ فاعل) (١) .

وقوله تعالى : (وليس بضارهم شيئا الا باذن الله) أى وليس الشيطان بضار المؤمنين شيئا من الأشياء أو شيئا من الضرر إلا بإرادة الله تعالى ومشيئته فلا تحزنوا ولا تغتموا .

قوله تعالى : (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) والمعنى أن من الواجب على المؤمنين أن يفوضوا أمرهم على الله عز وجل وأن مايتناجى بها اليهود والمنافقين مما يحزن المؤمنين ان وقع ، فانما يكون ذلك بارادة الله ومشيئته فلا يكترث المؤمنون بتناجيهم وليتوكلوا على الله عز وجل فى جميع أمورهم .

---

(١) تفسير الامام الالوسى حـ ٢٨ ص٢٧ .

وذكر الإمام الألوسى رحمة الله عليه (فهذا الكلام لإزالة حزنهم ومنه ضعف ما أشار اليه الزمخشرى [١] من جواز أن يرجع ضميره ليس بضارهم — للحزن ، وأجيب بأن المقصود يحصل عليه أيضافاته اذا قيل : ان هذا الحزن لا يضرهم إلا بارادة الله تعالى اندفع حزنهم هذا ومن الغريب ماقيل إن الآية نازلة فى المنامات التى يراها المؤمن فى النوم تسوؤه ويحزن منها فكانها نجوى يناجى بها ، وهذا على مافيه لايناسب السياق والسياق كما لايخفى) [٢] .

---

(١) تفسير الزمخشرى حـ ٤ ص٧٥ .

(٢) روح المعانى للالوسى حـ ٢٨ ص٢٧ .

الآية الحادية عشـر :

قال تعالى : " ياأيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا يفسح الله لكم ، واذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير " (١) .

المعانى اللغويـة :

تفسحوا فى المجالس : أى توسعوا .

يفسح الله لكم : يوسع الله لكم فى الجنة والرزق والقبر .

انشرزوا فانشزوا : أى قوموا وانهضوا .

يرفع الله الذين آمنوا منكم : أى بالنصر وحسن الذكر فى الدنيا وفى درجات الجنة فى الآخره .

والذين أوتوا العلم درجات : ترفعهم منازل عالية فى الجنة لأنهم يجمعون بين العلم والعمل .

سبب النزول :

(قال مقاتل : كان النبى صلى الله عليه وسلم فى الصفة وفى المكان ضيق وذلك يوم الجمعة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرم أهل بدر من

---

(١) الاية رقم ١١ من سورة المجادلة .

المهاجرين والأنصار ، فجاء ناس من أهل بدر وقد سبقوا الى المجلس ، فقاموا حيال النبي صلى الله عليه وسلم على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم فلم يفسحوا لهم ، وشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لمن حوله من غير أهل بدر : قم يافلان وأنت يافلان ، فأقام من المجلس بقدر النفر الذى قاموا بين يديه من أهل بدر ، فشق ذلك على من أقيم من مجلسه وعرف النبى صلى الله عليه وسلم الكراهية فى وجوههم ، فقال المنافقون للمسلمين ألستم تزعمون أن صاحبكم يعدل بين الناس ؟ فوالله ماعدل على هؤلاء قوم أخذوا مجالسهم وأحبوا القرب من نبيهم أقامهم وأجلس من أبطأ عنهم مقامهم ، فأنزل الله تعالى هذه الآية) (١) .

المناسبة بين الآية وما قبلها :

بعد أن بين المولى عز وجل أن التناجى بالاثم والمعصية وبين لهم أن هذا منهى عنه وأنه سبب للتباغض والتشاحن أمرهم بما يجعلهم فى تواد ورحمة وتوافق فبين لهم أن على المؤمن أن يوسع لأخيه المؤمن فى المجلس وأن ذلك من أسباب المودة والحب والألفة ومن يفعل ذلك فان جزاؤه عند الله رفع منزلته فى الجنة وان العلماء لهم درجات خاصة بسبب علمهم وعملهم وأن الله يعلم كل شئ .

---

(١) اسباب النزول للواحدى ص٢٧٦ .

الشرح التحليلى :

قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا يفسح الله لكم) .

هنا نداء للمؤمنين الذين صدقوا الله ورسوله وآمنوا بكل ماجاء به الرسول صلى الله عليه وسلم أن يجيبوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا قيل لهم توسعوا فى المجالس فليلبوا هذا الأمر . والآية وان كانت خاصة بحادثة معينة الا أنها عامة تشمل كل مجلس وتشمل كل توسعه سواء كان مجلس حرب أو مجلس ذكر أو صلاة .

وذكر الإمام ابن كثير ـ رحمة الله عليه ـ (والجزاء من جنس العمل كما جاء فى الحديث الصحيح " من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا فى الجنة " (١) وفى الحديث " من يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة والله فى عون العبد ماكان العبد فى عون أخيه " (٢)) .

وفى الحديث الصحيح : (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقام الرجل من مجلسه ويجلس فيه آخر ولكن تفسحوا وتوسعوا) (٣) .

---

(١) اخرجه البخارى فى صحيحة كتاب الصلاة حـ١ باب ٦٥ ص١٢٢ .

(٢) مسند احمد بن حنبل حـ ص٢٧٤ ، تفسير ابن كثير حـ٤ ص٣٢٤ .

(٣) اخرجه البخارى فى صحيحة كتاب الاستئذان باب إذا قيل لكم تفسحوا فى المجلس فافسحوا يفسح الله لكم حـ ٦٢/١١ فتح البارى .

يقول الإمام الألوسي ـ رحمة الله عليه ـ (والظاهر تعلق (في المجالس) يتفسحوا ، وقيل : متعلق ـ بقيل ـ .

وقرأ الحسن وداود بن أبي هند وقتادة وعيسى ـ تفاسحوا ـ وقرأ الأخيران ، وعاصم في المجالس ، والجمهور في ـ المجلس ـ بالافراد ، فقيل : على إرادة الجنس لقراءة الجمع ، وقيل : على إرادة العهد ، والمراد به مجلسه صلى الله تعالى عليه وسلم والجمع لتعدده باعتبار من يجلس معه عليه الصلاة والسلام فان لكل أحد منهم مجلسا ، وفي أخبار سبب النزول مايؤيد كلا) (١) .

(وقال الحسن : كان الصحابة يتشاحنون في مجالس القتال اذا اصطفوا للحرب ، فلا يوسع بعضهم لبعض رغبة في الشهادة) .

من الآية نعلم :

١ ـ أن الصحابة كانوا يتنافسون في القرب من مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم لسماع حديثه لما فيه من الخير العميم ، والفضل العظيم ومن ثم قال عليه الصلاة والسلام " ليليني منكم أولوا الأحلام والنهى" (٢)

٢ ـ الامر بالتفسح في المجالس وعدم التضام فيها متى وجد الى ذلك سبيل

---

(١) روح المعاني للالوسي حـ ٢٨ ص ٢٧ ، ٢٨ .

(٢) اخرجه ابن ماجه في سننه كتاب الاقامة باب من يستحب ان يلي الامام حـ ١ ـ ٣١٣ ط عيسى البابي الحلبي .

لأن ذلك يدخل المحبة فى القلوب ، والاشتراك فى سماع أحكام الدين

٣ ـ ان كل من وسع على عباد الله أبواب الخير والراحة ، وسع الله عليه خيرات الدنيا والآخرة .

وعلى الجملة فالآية تشمل التوسع فى ايصال جميع أنواع الخير الى المسلم وادخال السرور عليه ، ومن ثم قال عليه الصلاة والسلام : " لا يزال الله فى عون العبد ومادام العبد فى عون أخيه " (٢)) (٣) .

قال تعالى : (واذا قيل انشزوا فانشزوا " قال الامام ابوالسعود ـ رحمه الله عليه ـ (أى انهضوا للتوسعة على المقبلين أو لما أمرتم به من صلاة أوجهاد أوغيرهما من أعمال الخير (فانشزوا) فانهضوا ولا تتثبطوا ولا تفرطوا وقرئ بكسر الشين) (٣) .

قال الشيخ المراغى : (أى واذا دعيتم الى القيام عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقوموا ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يؤثر الانفراد أحيانا لتدبير شئون الدين ، أو لأداء وظائف تخصه لا تؤدى أو لا يكمل أداؤها الا بالانفراد . وقد عمموا هذا الحكم فقالوا : اذا قال صاحب مجلس لمن فى مجلسه قوموا ينبغى أن يجاب) (٤) .

---

(١) مسند احمد بن حنبل حـ ص٢٧٤ .

(٢) تفسير المراغى حـ ٢٨ ص١٦ .

(٣) تفسير ابوالسعود حـ٥ ص٦٩٧ وكذلك فى روح المعانى حـ ٢٨ ص٢٨ .

(٤) تفسير المراغى حـ ٢٨ ص١٧ .

قال تعالى : (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)

أى يرفع المولى عز وجل فى الدنيا والآخرة الذين أوتوا العلم منكم أيها المؤمنون درجات فلهم الكرامة والمهابة فى الدنيا وأعلى المراتب فى الآخرة .

قال الإمام أبو السعود : ("يرفع الله الذين آمنوا منكم " بالنصر وحسن الذكر فى الدنيا والايواء الى غرف الجنان فى الآخرة "والذين أوتوا العلم " منهم خصوصا " درجات" عالية بما جمعوا من أثرتى العلم والعمل فان العلم مع علو رتبته يقتضى العمل المقرون به مزيد رفعة لا يدرك شأوه العمل العارى عنه وان كان فى غاية الصلاح ولذلك يقتدى بالعالم فى أفعاله ولا يقتدى بغيره وفى الحديث " فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب " (١)) (٢) .

(وقيل المراد بالذين آمنوا من الصحابة وكذلك الذين أوتوا العلم . وقيل المراد بالذين أوتوا العلم الذين قرءوا القرآن . والأولى حمل الآية على العموم فى كل مؤمن وكل صاحب علم من علوم الدين من جميع أهل هذه الملة ، ولا دليل يدل على تخصيص الآية بالبعض دون البعض ، وفى هذه الآية

---

(١) اخرجه الترمذى فى صحيحة كتاب العلم ـ باب ماجاء فى فضل الفقه على العبادة حـ ٥ ص٥٠ .

(٢) تفسير ابوالسعود حـ ٥ ص٦٩٧ .

فضيلة عظيمة للعلم وأهله) (١) .

معنى الآية يرفع الله تعالى المؤمنين العلماء منكم درجات على غيرهم فلذلك أمر بالتفسح من أجلهم ، ففيه دليل على رفع العلماء فى المجالس والتفسح لهم عن المجالس الرفيعة .

" يرفع الله الذين آمنوا منكم " جواب الامر كأنه قيل : ان تنشزوا يرفع عز وجل المؤمنين منكم فى الاخرة جزاءا للامتثال . الى أن قال : وعطف " الذين أوتوا العلم " على " الذين آمنوا " من عطف الخاص على العام تعظيما لهم بعدهم كانهم جنس آخر ، ولذا أعيد الموصول فى النظم الكريم) (٢) .

قوله تعالى : (والله بما تعملون خبير) هنا يقرر المولى عز وجل حقيقة وهى أنه عز جلاله خبير بأعمال الناس لا يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء فيعلم المطيع والعاصى والمؤمن والكافر فسيحاسب كلا بما عمل وفى هذا تهديد لمن لم يمتثل بأوامر الله عز وجل التى منها التفسح فى المجالس رحمة وألفة بين عباد الله .

ذكر الامام الالوسى ان قوله تعالى (تعملون) قرأ بالتحتانية أى — يعملون) (٣) .

---

(١) تفسير فتح القدير للشوكانى حـ ٥ ص١٨٩ .

(٢) تفسير الالوسى حـ ٢٨ ص٢٩ ، ٣٠ .

(٣) تفسير الالوسى حـ٢٨ ص٣٠ ، وانظره فى تفسير ابى السعود حـ٥ ص٦٩٧

الآية الثانية عشرة :

قال تعالى : " يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة ، ذلك خير لكم وأطهر فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم " (١) .

المعانى اللغوية :

اذا ناجيتم الرسول : أى أردتم الحديث معه ومناجاته .

فقدموا بين يدى نجواكم صدقة : أى قدموا وأخرجوا صدقة قبل الحديث معه صلى الله عليه وسلم .

ذلك خير لكم وأطهر : الخيرية لما يعود على الفقراء من رزق وأطهر أى أزكى وأطهر للذنوب .

فان لم تجدوا : أى ماتقدموه من الصدقة قبل مناجاة الرسول صلى الله عليه وسلم .

سبب النزول :

قال مقاتل ابن حيان : نزلت الآية فى الأغنياء ، وذلك أنهم كانوا يأتون النبى صلى الله عليه وسلم فيكثرون مناجاته ويغلبون الفقراء على المجالس

---

(١) الآية رقم ١٢ من سورة المجادلة .

حتى كره رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك من طول جلوسهم ومناجاتهم ، فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية ، وأمر بالصدقة عند المناجاة ، فأما أهل العسرة فلم يجدوا شيئا ، وأما أهل الميسرة فبخلوا ، واشتد ذلك على أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، فنزلت الرخصة .

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : ان فى كتاب الله لآية ماعمل بها أحد قبلى ولا يعمل بها أحد بعدى ـ يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول ـ كان لى دينار فبعته ، وكنت اذا ناجيت الرسول تصدقت بدرهم حتى نفد ، فنسخت بالآية الأخرى ـ أأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات ـ (١)، (٢).

جاء فى أضواء البيان فى ايضاح القرآن بالقرآن (قوله تعالى " ياأيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة " هذه الآية تدل على طلب تقديم الصدقة أمام المناجاة .

وقوله تعالى : " أأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات فاذا لم تفعلوا وتاب الله عليكم " (٣) يدل على خلاف ذلك .

---

(١) الاية ١٣ من سورة المجادلة .

(٢) اسباب النزول للواحدى ص٢٧٦ .

(٣) الاية رقم ١٣ من سورة المجادلة .

والجواب ظاهر ، وهو أن الاخير ناسخ للأول . والعلم عند اللـــه تعالى) (١) .

مناسبة الاية لما قبلها :

الآية السابقة كانت تتحدث عن تنافس المؤمنين في الجلوس قرب رسول الله صلى الله عليه وسلم لمناجاته وأكثروا في ذلك وتعاظم هذا الأمر وشق على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصبح وقت رسول الله صلى الله عليه وسلم مشغول بهم ونسوا أنه رسول وبشر ويجب أن يكون وقته مقسم بين ابلاغ الرسالة والعبادة والقيام بشئون الحياة التي يحتاج اليها كل بشر . لذلك نزلت هذه الآية لتحد من المضارة التي كان يتعرض لها رسول الله ولتعلم الناس بعض الاداب الاسلامية فأمرت الآية الناس بوجوب تقديم الصدقات قبل مناجاة الرسول صلى الله عليه وسلم .

واختلف العلماء هل الامر في الآية على سبيل الندب أو الوجوب لكنه نسخ كما ذكرنا آنفا .

الشرح التحليلي :

قوله تعالى : (ياأيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى

---

(١) أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن تأليف محمد الامين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي الجزء العاشر ، ص ٢٩٠ ، عالم الكتب بيروت .

نجواكم صدقة) أى اذا أردتم المناجاة معه عليه الصلاة والسلام لأمر ما من الامور فتصدقوا قبلها ٠

(وفى الكلام استعارة تمثيلية ، وأصل التركيب يستعمل فيمن له يدان ٠ أو مكنية بتشبيه النجوى بالإنسان ، واثبات اليدين تخييل وفى (بين) ترشيح على ماقيل ، ومعناه قبل) (١) ٠

قوله تعالى : (ذلك خير لكم وأطهر) ٠

الإشارة هنا تعود على تقديم الصدقة قبل مناجاة الرسول صلى الله عليه وسلم ٠

والمعنى أن فى تقديم الصدقة خير لكم لما فيه من طاعة الله والثواب المترتب عليها عند ربكم ولما فيها من تزكية للنفوس وطهارتها من البخل والجشع وتعويدها على العطاء والبذل ولما فيها من اغاثة للملهوف المحتاج ولما فيه من تمييز للمنافقين الذين يحبون المال من المؤمنين الذين اشتروا الآخرة وتركوا عرض الحياة الدنيا ٠

قوله تعالى : (فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم) والمعنى أن المولى عز وجل عليم حكيم لا يكلف نفسا الا وسعها ليعلم ان من المؤمنين ايمانا حقيقيا لا يقدرون أن يقدموا بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة فرخص لهم المناجاة بلا تقديم للصدقة ٠

---

(١) تفسير روح المعانى للالوسى جـ ٢٨ ص ٣٠ ٠

الاية الثالثة عشر :

قال تعالى : " أأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات ، فاذا لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله ، والله خبير بما تعملون " (١) .

المعانى اللغوية :

أأشفقتم : أى خفتم .

تاب الله عليكم : أى رخص لكم فى المناجاة من غير تقديم صدقة .

فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله : على الوجه المطلوب والمداومة عليها .

والله خبير بما تعملون : أى من أعمال البر والاحسان وسيثيبكم على ذلك بالجنة .

مناسبة الآية لما قبلها :

لما شرع المولى عز وجل تقديم الصدقة قبل مناجاة الرسول صلى الله عليه وسلم وميز المخلص من المنافق وتحققت الحكمه من هذا الأمر رخص فى مناجاة الرسول صلى الله عليه وسلم بدون تقديم الصدقة وكانت هذه الآية ناسخة لتقديم الصدقة قبل المناجاة .

---

(١) الآية رقم ١٣ من سورة المجادلة .

الشرح التحليلى :

قال تعالى : (أأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات) .

عن على كرم الله تعالى وجهه قال : لما نزلت (ياأيها الذين آمنوا اذا ناجيتم ...الخ ، قال لى النبى صلى الله عليه وسلم : " ماترى فى دينار؟ قلت : لا يطيقونه قال : نصف دينار ؟ قلت : لا يطيقونه ، قال : فكم ؟ قلت : شعيرة ، قال : فانك لزهيد " فلما نزلت (أأشفقتم) الآية قال صلى الله عليه وسلم فى " خفف الله عن هذه الامة " (١) .

قوله : (أأشفقتم) أى خفتم تقديم الصدقات قبل المناجاة لما اعتقدوه بأنه يؤدى بهم الى الفقر والحاجة ولما يعدهم الشيطان عليه من الفقر .

وحقيقة الاشفاق الخوف من المكروه .

والاستفهام هنا للتقرير وقيل المعنى : أبخلتم .

وقوله تعالى : (صدقات) قيل إن الجمع هنا باعتبار المخاطبين قال الإمام الألوسى : (وهذا على القول بالوجوب محمول على أنه لم يتفق للاغنياء مناجاة فى مدة بقاء الحكم ، واختلف فى مدة بقائه فعن مقاتل أنها عشرة ليال ، وقال قتادة : ساعة من نهار ، وقيل إنه نسخ قبل العمل به ولا يصح لما صح آنفا) (٢) .

---

(١) أخرجه الترمذى وحسنه كتاب التفسير سورة ٥٨ ص٤٠٣ .

(٢) تفسير الالوسى حـ ٢٨ ص٣١ ، تفسير فتح القدير حـ ٥ ص١٩٠ .

(قيل إن مفعول (أشفقتم) محذوف ، و (أن) على اضمار حرف التعليل ، ويجوز أن يكون المعقول (أن تقدموا) فلا حذف أى أخفتم تقديم الصدقات لتوهم ترتب الفقر عليه .

وجميع الصدقات لما أن الخوف لم يكن فى الحقيقة من تقديم صدقة واحدة لانه ليس مظنة الفقر بل من استمرار الامر . وتقديم (صدقات) وهذا أولى عما قيل : ان الجمع لجمع المخاطبين اذ يعلم منه وجه افراد الصدقة فيما تقدم على قراءة الجمهور) (١) .

قوله تعالى : (فاذا لم تفعلوا وتاب الله عليكم) .

(فاذا لم تفعلوا) ما أمرتم به وشق عليكم ذلك (وتاب الله عليكم) بأن رخص لكم المناجاة من غير تقديم صدقة .

قال : ابوالسعود رحمة الله عليه (فيه اشعار بأن اشفاقهم ذنب تجاوز الله عنه لما رأى منهم من الانفعال ماقام مقام توبتهم واذ على بابها من المضى . وقيل بمعنى اذا كما فى قوله تعالى " اذا الاغلال فى أعناقهم " (٢) وقيل بمعنى أن) (٣) .

قوله تعالى : (فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله) .

---

(١) تفسير الالوسى حـ ٢٨ ص٣١ .

(٢) سورة غافر آية ٧١ .

(٣) تفسير ابوالسعود حـ ٥ ص٦٩٨ وانظره فى الالوسى حـ ٢٨ ص٣١ .

والمعنى : اذا لم تستطيعوا أن تقدموا الصدقة قبل مناجاة الرسول فأدوا الصلاة حق أدائها من الخشوع والتأنى (الاناية) والاخلاص والنهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ولما فى الزكاة من تطهير للنفوس من داء الشح الدافع الى حب المال وارتكاب الجرائم للوصول إليه . واطاعة الله فيما أمر ونهى وايتاء الفرائض والبعد عن النواهى . فان ذلك يكفيكم عوضا عن تقديم الصدقة قبل المناجاة .

قال الامام الالوسى رحمة الله عليه : (وعدل علين فصلوا الى فأقيموا الصلاة) ليكون المراد المثايرة على توفيه حقوق الصلاة ورعاية مافيه كما لها لا على أصل فعلها فقط .

ولما عدل عن ذلك لما ذكر جيء بما بعده على وزانه ، ولم يقل وزكوا لئلا يتوهم أن المراد بتزكية النفس كذا قيل فتدبر . وقال : واعتبرت المثابرة لأن المأمورين مقيمون للصلاة ومؤتون للزكاة) (١) .

قوله تعالى : (والله خبير بما تعملون) .

قال الإمام الشوكانى رحمة الله عليه : (لايخفى عليه من ذلك شيء فهو مجازيكم ، وليس فى الآية مايدل على تقصير المؤمنين فى امتثال هذا الأمر ، أما الفقراء منهم فالأمر واضح وأما من عداهم من المؤمنين فانهم لم يكلفوا بالمناجاة حتى تجب عليهم الصدقة بل أمروا بالصدقة اذا أرادوا المناجاة ،

---

(١) روح المعانى للامام الالوسى جـ ٢٨ ص ٣١ .

فمن ترك المناجاة فلا يكون مقصرا فى امتثال الأمر بالصدقة ، على أن فى الآية مايدل على أن الامر للندب .

وقد استدل بهذه الآية من قال بأنه يجوز النسخ قبل امكان الفعل وليس هذا الاستدلال بصحيح ، فان النسخ لم يقع الا بعد امكان الفعل ، وأيضا قد فعل ذلك البعض ، فتصدق بين يدى نجواه) (١) .

والمعنى واضح وهو اتساع علم الله فهو يعلم السر وأخفى محيط بما فى النفوس وبما تظهره ومجازى كل نفس بما كسبت كما قال تعالى : (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) (٢) .

---

(١) تفسير فتح القدير حـ ٥ ص١٩٠ .

(٢) سورة الزلزلة آية ٧ .

الاية الرابعة عشر :

قال تعالى : " ألم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ماهم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون " (١) .

المعانى اللغوية :

تر : تنظر .

تولو : أى ولوا .

سبب نزول الآية :

قال الواحدى : قوله تعالى : " ألم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم " الآيات الى قوله ــ " ويحسبون أنهم على شئ ألا انهم هم الكاذبون " .

قال السدى ومقاتل : نزلت فى عبد الله بن نبتل المنافق كان يجالس النبى صلى الله عليه وسلم ثم يرفع حديثه الى اليهود ، فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجره من حجره ، اذ قال : يدخل عليكم الان رجل قلبه قلب جبار وينظر بعينى شيطان ، فدخل عبد الله بن نبتل وكان أزرق ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : فعلت ، فانطلق فجاء بأصحابه فحلفوا

---

(١) الآية ١٤ من سورة المجادلة .

بالله ماسبوه ، فأنزل الله تعالى هذه الآية) (١) .

أخبرنا محمد بن ابراهيم بن محمد بن يحيى ، أخبرنا محمد بن جعفر ابن مطر أخبرنا محمد بن جعفر الفريابى ، أخبرنا أبو جعفر النفيلـــى ، أخبرنا زهير بن معاوية ، أخبرنا سماك ابن حرب قال : حدثنى سعيد ابن جبير أن ابن عباس حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى ظل حجرة من حجره وعنده نفر من المسلمين قد كان الظل يقلص عنهم ، فقال لهم : انه سيأتيكم انسان ينظر اليكم بعين شيطان ، واذا أتاكم فلا تكلموه ، فجاء رجل أزرق ، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمه ، فقال : علام تشتمنـــى أنت وفلان وفلان ؟ نفر دعا بأسمائهم فانطلق الرجل فدعاهم ، فحلفوا بالله واعتذروا اليه ، فأنزل الله تعالى ـ يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شىء الا أنهم هم الكاذبون) (٢) .

فى هذه الايام التى نزلت فيها هذه السورة كان النفاق بالمدينة بالغا أشده ، وكان اليهود كذلك كثيرين ومتحزبين ضد الاسلام والمسلمين وذلك

---

(١) اسباب النزول للواحدى ص ٢٧٧ وذكرت نفس الرواية عن السدى ومقاتل مع زيادة فى بعض الالفاظ عند الالوسى حـ ٢٨ ص ٣٢ ، ٣٣ وذكرهـا كذلك أبو السعود حـ ٥ ص ٦٩٨ وكذلك ذكر عند القرطبى حـ ١٧ ص ٣٠٤ .

(٢) اسباب النزول للواحدى ص ٢٧٧ .

قبل اجلائهم من المدينة ففى هذه الآية يحذر الله تعالى رسوله والمؤمنين من العدوين معا ويكشف الستار عنهم ليظهرهم على حقيقتهم ليحذرهم المؤمنين .

الشرح التحليلى :

" ألم تر " يتعجب المولى عز وجل من حال المنافقين الذين كانوا يتخذون اليهود أولياء ويناصحونهم وينقلون اليهم أسرار المؤمنين أى ألم تنظر .

وفى قوله تعالى " ألم تر " خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم (وفيه على ماقاله الخفاجى : تلوين للخطاب بصرفه عن المؤمنين الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أى ألم تنظر يامحمد) [1] اذا المراد بالرؤية هنا الرؤية البصرية .

" الى الذين تولوا قوما " أى والوهم .

(قال قتادة : هم المنافقون تولوا اليهود . وقال السدى ومقاتل : هم اليهود تولوا المنافقين ، ويدل على الأول قوله : " غضب الله عليهم " . فان المغضوب عليهم هم اليهود ، ويدل على الثانى قوله : (ماهم منكم ولا منهم) فان هذه صفة المنافقين ، كما قال الله فيهم : " مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء " [2]) .

---

(١) روح المعانى للالوسى حـ ٢٨ ص٣٢ .

(٢) سورة النساء آية رقم ١٤٣ .

(٣) فتح القدير حـ ٥ ص١٩٣ .

" غضب الله عليهم " وهم اليهود كما أنبأ عنه قوله تعالى " من لعنه الله وغضب عليه " (٣) .

قوله تعالى " ماهم منكم ولا منهم " .

(ماهم) أى الذين تولوا (منكم) معشر المؤمنين (ولا منهم) أى من أولئك القوم المغضوب عليهم أعنى اليهود لأنهم منافقون مذبذبون بين ذلك وفى الحديث " مثل المنافق مثل الشاة العائرة بين غنمين ـ أى المترددة بين قطيعين ـ لا تدرى أيهما تتبع " (٢) .

وجوز ابن عطية أن يكون (هم) للقوم ، وضمير (منهم) للذين تولوا ثم قال : فيكون فعل المنافقين على هذا أخس لانهم تولوا مغضوبا عليهم ليسوا من أنفسهم فيلزمهم دمامهم ولا من القوم المحقين فتكون الموالاة صوابا ، والأول هو الظاهر والجملة عليه مستأنفة ، وجوز كونها حالا من فاعل (تولوا) ورد بعدم الواو ، وأجيب بأنهم صرحوا بأن الجملة الاسمية المثبتة أو المنفية اذا وقعت حالا تأتى بالواو فقط وبالضمير فقط وبهما معا ، وماهنها أتت بالضمير أعنى هم ، وعلى ماقاله ابن عطية : فى موضع الصفة لقوم) (٣) .

وذكر الامام الالوسى رحمة الله عليه أن رأى السكاكى فى جعل (منكم)

---

(١) سورة المائدة آية ٦٠ .

(٢) الحديث أخرجة النسائى فى كتاب الايمان باب ٣١ مثل المنافق جـ٨ ص١٢٤

(٣) تفسير الالوسى حـ ٢٨ ص٣٢ .

التفاتا ـ قول فيه نظر وتعقبه بأنه ان غلب فيه خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم فظاهر أنه لا التفات فيه وان لم يغلب فكذلك لا التفات فيه اذ ليس فيه مخالفة لمقتضى الظاهر لسبق خطابهم قبله) (١) .

قال تعالى : " ويحلفون على الكذب " أى يقولون والله انا لمسلمون وهو عطف على (تولوا) داخل فى حكم التعجيب) (٢) (وجوز عطفه على جملة (ماهم منكم) (٣) .

وصيغة المضارع فى قوله تعالى : (ويحلفون على الكذب) للدلالة على تكرر الحلف ونجدده حسب تكرر مايقتضيه (٤) .

قال تعالى " وهم يعلمون " . أى الحال أنهم يعلمون بطلان ماحلفوا عليه وأنه كذب لا حقيقة له (٥) وجاء فى تفسير ابوالسعود ان الحال هنا مفيده لكمال شناعة مافعلوا فان الحلف على مايعلم أنه كذب فى غاية القبح .

وفيه دلالة على أن الكذب يعم مايعلم المخبر عدم مطابقته للواقع وما لا يعلمه .

---

(١) انظره فى روح المعانى حـ ٢٨ ص٣٢ .

(٢) تفسير أبو السعود حـ ٥ ص٦٩٨ .

(٣) تفسير الالوسى حـ ٢٨ ص٣٢ .

(٤) انظره فى أبوالسعود حـ ٥ ص٦٩٨ والالوسى حـ ٢٨ ص٣٢ .

(٥) فتح القدير حـ ٥ ص١٩٢ والالوسى حـ ٢٨ ص٣٢ وابو السعود حـ ٥ ص٦٩٨ .

وفيه دلالة على أن الكذب يعم مايعلم المخبر عدم مطابقته للواقع وما لا يعلمه .

وقال الامام الالوسى رحمه الله (وهم يعلمون) بمعنى يعلمون خلافه فيكون جملة حالية موكدة لا مقيدة ، نعم التأسيس هو الأصل لكنه غير متعين والاحتمال يبطل الاستدلال والكذب الذى حلفوا عليه دعواهم الاسلام حقيقة وقيل : انهم ماشتموا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم .

الشرح الاجمالى للآية :

فى هذه الآية يخاطب المولى عز وجل رسوله الكريم تعجبا من حال المنافقين الذين اتخذوا اليهود أولياء لهم يستشيرنهم فى أمورهم وينقلون لهم أخبار المؤمنين ويخبره أنهم ليسوا من المؤمنين كما يدعون عندما يقابلونهم يقولهم انا معكم ولاهم من اليهود الذين والوهم لان ولايتهم ولاية نصرة وتخزب ضد الرسول والمؤمنين فهم حبارى يترددون بينكم معكم فى الظاهر وقع اليهود فى الباطن . ويحلفون للرسول بالباطل أنهم معه وهو كذب فى غاية الشناعة والقبح ولهذا شهد المولى عز وجل بكذبهم وأخبر عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الاية الخامسة عشر :

قال تعالى : " أعد الله لهم عذابا شديدا انهم ساء ماكانوا يعملون اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله فلهم عذاب مهين " (١) .

المعانى اللغوية :

أعد : هيأ ورصد .

جنة : وقاية وستره .

فصدوا : الصد هو المنع .

مهين : مذل .

مناسبة الآيات لما قبلها :

بينت الآية انه بسبب موالات المنافقين للكافرين وبسبب أعمالهم السيئة من نصرة للكافرين ومعادات المؤمنين أعد المولى عز وجل لهم العذاب الأليم المهين .

الشرح التحليلى :

قال تعالى " أعد الله لهم " أى بسبب توليهم الكفار وكذبهم وحلفهم بالباطل هيأ المولى لهم عذابا أليمايوم القيامه . وقال عز من قائل (عذابا

---

(١) الآية رقم ١٥ و ١٦ من سورة المجادلة .

شديدا) أى نوعا من العذاب متفاقما بلغ القصوى فى غايته وهو عذاب شديد فى جهنم فى الدرك الاسفل من النار ٠

قال تعالى : " انهم ساء ماكانوا يعملون " فهوتتديد بصنيعهم وقبح سلوكهم ولذا أعد لهم العذاب الشديد المهين ٠

قال القرطبى : ان معنى قوله تعالى : " انهم ساء ماكانوا يعملون " أى بئس الاعمال أعمالهم [١] أى ما اعتادوا عمله وتمرنوا عليه من الاعمال القبيحة ٠

وجاء فى تفسير الامام ابو السعود (" انهم ساء ماكانوا يعملون " فيما مضى من الزمان المتطاول فتمرنوا على سوء العمل وضربوا به وأصروا عليه)[٢]

قال تعالى : " اتخذوا أيمانهم جنة " أى اتخذوا أيمانهم الفاجرة الكاذبة التى يحلفون بها عند الحاجة وقاية وسترة دون دمائهم وأموالهم حتى لا يؤاخذوا عن تصرفاتهم السيئة ٠ قال الامام القرطبى (أتخذوه جنة أى آمنت ألسنتهم من خوف القتل وكفرت قلوبهم) [٣] .

(قرأ الحسن ـ ايمانهم ـ بكسر الهمزة أى ايمانهم الذى أظهروه للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وخلص المؤمنين ٠

---

(١) تفسير الامام القرطبى حـ ١٧ ص٣٠٤ ٠

(٢) تفسير الامام ابو السعود حـ ٥ ص٦٩٨ ٠

(٣) تفسير القرطبى حـ ١٧ ص٣٠٤ ٠

قال فى الارشاد : والاتخاذ على هذا عبارة عن التستر بالفعل كأنه قيل : تستروا بما أظهروه من الايمان عن أن تستباح دماؤهم وأموالهم ، وعلى قراءة الجمهور عبارة عن اعدادهم لايمانهم الكاذبة وتهيئتهم لها الى وقت الحاجة ليحلفوا بها ويخلصوا عن المؤاخذة لا عن استعمالها بالفعل فان ذلك متأخر عن المؤاخذة المسبوقة بوقوع الجناية ، وعن سببها أيضا كما يعبر عنه الفاء فى قوله تعالى : " فصدوا ") (١) .

قال تعالى : " فصدوا " أى الناس وقوله : (عن سبيل الله) عن طريق الله اما بتثبيط من قوى عن الدخول فيه الاسلام واما بتضعيف أمر المسلمين عند الراغبين فى الدخول فيه .

(وقيل : فصدوا المسلمين عن قتلهم فانه سبيل الله تعالى فيهم ، وقيل : (صدوا) لازم ، والمراد فأعرضوا عن الاسلام حقيقة) (٢) .

قال تعالى : " فلهم عذاب مهين " فى الدنيا بالقتل وفى الآخرة بالنار .

وقيل إن هذا وعيد ثان بوصف آخر لعذابهم ، وقيل : الأول عذاب القبر وهذا عذاب الآخرة ، ويشعر به وصفه بالاهانة المقتضية للظهور فلا تكرار (٣) .

---

(١) روح المعانى حـ ٢٨ ص٣٣ .
(٢) انظره فى روح المعانى حـ ٢٨ ص٣٣ .
(٣) روح المعانى حـ ٢٨ ص٣٣ وتفسير ابى السعود حـ ٥ ص٦٩٩ .

وقال الشيخ المراغى : (إن لهم عذاب يلحقهم به الذل والهوان فى النار جزاء ما امتهنوا اسمه الكريم بالحلف بـه كذبا) (١) .

الآية السابعة والثامنة عشر :

قال تعالى : " لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون • يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شىء ألا انهم هم الكاذبون "(١) .

المعانى اللغوية :

أصحاب النار : أى ملازميها •

خالدون : دائمون •

يوم يبعثهم : أى من قبورهم يوم القيامة •

فيحلفون له كما يحلفون لكم : أى يقسمون لله أنهم مؤمنين كما أقسموا لكم •

ويحسبون : يظنون •

على شىء : أى على شىء من الحق فى حلفهم •

مناسبة الآيتين لما قبلهما :

أرشد المولى عز وجل هنا الى أن ماظنوه المنافقون منجيا لهم من عذاب الله من المال والأولاد ليس بنافع لهم حينئذ لأن المنافقين كانوا ذوى ثروة ومال وهذا من الأسباب الحاملة لهم على البقاء فى الكفر ونسوا ، أن واجب

---

(١) الآية رقم ١٧ ، ١٨ من سورة المجادلة •

هذا هو الله فأخبرهم المولى عز وجل بأن هذه الأشياء من مال وولد لن تفيدهم ولن تغنى عنهم من الله شيئا .

الشرح التحليلى للايتين :

قوله تعالى : " لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا " .

أى لن تغنى وتدفع عنهم يوم القيامة ماجمعوه من أموال كانت مصدر عزهم وفخرهم ولا مارزقوا به من أولاد يعتزون بهم . من عذاب الله شيئا .

(روى أن رجلا منهم قال لننصرن يوم القيامة بأنفسنا وأموالنا وأولادنا)(١)

قوله تعالى : (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) والمعنى أن هؤلاء القوم ملازمون للنار لايفارقوها لايخرجون منها أبدا فهم فى صحبة دائمة معها لايموتون فيها ولا يخرجون منها .

قوله تعالى : (يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم)

(قال الامام أبوالسعود (يوم) ظرف لقوله تعالى : (لهم عذاب مهين))(٢)

أى واذكر لهم يامحمد (صلى الله عليه وسلم) حالهم يوم القيامة يوم يبعثهم الله من قبورهم أحياء كهيئتهم قبل مماتهم ـ لأن من مات على شئ يبعث عليه . ولما مات المنافقون على النفاق بعثوا كذلك ـ فيحلفون له كما كانوا يحلفون لك وللمؤمنين فى الدنيا ويقولون : (والله ربنا ماكنا مشركين)(٣)

---

(١) تفسير ابوالسعود حـ ٥ ص٦٩٩ .

(٢) تفسير ابوالسعود حـ ٥ ص٦٩٩ .

(٣) سورة الانعام آية ٢٣ .

قال الإمام الألوسى رحمة الله عليه : (والتشبيه بمجرد الحلف لهم فى الدنيا وان اختلف المحلوف عليه بناءا على ماقدمنا من سبب النزول) (١) .

قال تعالى : (ويحسبون أنهم على شيء ألا انهم هم الكاذبون)

والمعنى أنهم يظنون ويعتقدون أن هذا الحلف سينفعهم ويجلب لهم النجاة ويدفع عنهم الضرر كما كان ذلك شأنهم فى الدنيا فأنكر المولى عز وجل عليهم هذا الاعتقاد الباطل لأن المولى عز وجل لا تخفى عليه خافية فأيمانهم غير مجدية .

وقال الامام ابوالسعود : (ألا انهم هم الكاذبون) البالغون فى الكذب الى غاية لا مطمع وراءها حيث تجاسروا على الكذب بين يدى علام الغيوب وزعموا أن أيمانهم الفاجره تروج الكذب لديه كما تروجه عند الغافلين) (٢) .

---

(١) تفسير روح المعانى للالوسى حـ ٢٨ ص٣٣ .

(٢) تفسير أبو السعود حـ ٥ ص٦٩٩ .

الآية التاسعة عشر :

قال تعالى : " استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله ، أولئك حزب الشيطان ، ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون " (١) .

المعانى اللغوية :

استحوذ عليهم الشيطان : استحوذ على الشيء حواه وأحاط به ، والمعنى غلب عليهم الشيطان .

فأنساهم ذكر الله : لم يمكنهن من ذكره .

أولئك حزب الشيطان : أتباعه وجنوده .

الخاسرون : المغبونون .

مناسبة الآية لما قبلها :

بعد مابينت الآية السابقة أنهم يوم القيامة يحلفون لله أنهم مؤمنون كما حلفوا للرسول والمؤمنون فى الدنيا بين فى هذه الاية السبب الذى أوقعهم فى الردى ، وأوصلهم الى قرار جهنم .

شرح الآيــة :

قوله تعالى : (استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله) أى غلب

---

(١) آية ١٩ من سورة المجادلة .

على عقولهم وقلوبهم بوسوسته وتزيينه حتى اتبعوه ، فلم يكنهم من ذكر اللـه واتباع أوامره وترك نواهيه بما زين لهم من الشهوات فأوقعهم في دركـات جهنم وبئس المصير .

قال الامام الشوكاني : (" فأنساهم ذكر الله " أي أوامره والعمـل بطاعاته فلم يذكروا شيئا من ذلك ، وقيل زواجره في النهي عن معاصيـه ، وقيل لم يذكروه بقلوبهم ولا بألسنتهم) (١) .

قال تعالى : (أولئك حزب الشيطان) والاشارة بقوله (أولئك) الـى المذكورين الموصوفين بتلك الصفات المذمومة القبيحة و (حزب الشيطان) أي جنوده وأعوانه ورهطه .

قال تعالى : (ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون) والمعنى أن حزب الشيطان هم المغبونون الخاسرون لأنهم اشتروا الضلالة بالهدى واستبدلـوا الجنة بالعذاب المقيم .

(وجيء بحرف التنبيه والاستفتاح (ألا) تنبيها على أهمية ما دخلـت عليه وأنه مما يحق أن ينتبه له . وضمير الفصل (هو) لافادة القصر، وهو قصر ادعائي للمبالغة في مقدار اخسرانهم) (٢) .

---

(١) تفسير الشوكاني حـ ٥ ص١٩٣ .

(٢) هامش أيسر التفاسير حـ ٢٨ ص٢٩٧ .

وقال الإمام أبو السعود : (وتصدير الجملة بحرفى التنبية والتحقيق واظهار المضافين معا فى موقع الاضمار باحد الوجهين وتوسيط ضمير الفصل من فنون التأكيد مالا يخفى) (١) .

الآية العشرون والحادية والعشرون :

قال تعالى : " ان الذين يحادون الله ورسوله أولئك فى الأذلين كتب الله لأغلبن أنا ورسلى ، ان الله قوى عزيز " (١) .

المعانى اللغوية :

يحادون : يشاقون ويعادون .

الأذلين : المغلوبين المقهورين .

كتب الله : فى اللوح المحفوظ ، حكم وقضى .

لأغلبن : بالحجة أو بالسيف .

مناسبة الآية لما قبلها :

بعد أن ذكر المولى عز وجل فى الايات السابقة حال المنافقين ومدى كذبهم على الله ورسوله وحلفهم بالباطل بين أن سبب ذلك هو تغلب الشيطان عليهم وسيطرته على عقولهم وقلوبهم بحيث أنهم نسوا ذكر الله ثم حكم عليهم بأن صفقتهم خاسرة لأنهم اشتروا الدنيا وباعوا الآخرة . ثم بين هنا سبب خسرانهم وهو أنهم عادوا وشاقوا الله ورسوله فكتب المولى عز وجل عليهم الذلة اذا ثبت وقضى بأن العزة والغلبة لله وللرسول وأن الذلة لأعدائه .

---

(١) الآية رقم ٢٠ ، ٢١ من سورة المجادلة .

الشرح التحليلى للايتين :

قال تعالى : (ان الذين يحادون الله ورسوله) استئناف مسوق لتعليل ماقبله من خسران حزب الشيطان عبر عنهم بالموصول للتنبيه بما فى حيز الصلة على أن موادة من حاد اللهورسوله محادة لهما والاشعار بعلة الحكم .

وقوله تعالى : (أولئك فى الاذلين) يعود اسم الاشارة (أولئك) على مافعلوه من التولى والموادة .

(فى الأذلين) أى فى جملة من هو أذل خلق الله من الأولين والآخرين لأن ذلة أحد المتخاصمين على مقدار عزة الآخرين . وحيث كانت عزة الله عز وجل غير متناهية كانت ذلة من يحاده كذلك قال الامام الشوكانى رحمه الله عليه (أى أولئك المحادون لله ورسوله المتصفون بتلك الصفات المتقدمة من جملة من أذله الله من الأمم السابقة واللاحقة لانهم لما حاذوا الله ورسوله صاروا من الذل بهذا المكان .

قال عطاء : يريد الذل فى الدنيا والخزى فى الآخرة) (١) .

وفى ذلة أعداء الدين بشارة للمؤمنين بأن الله سيظهرهم على عدوهم ويكونون من الاعزاء وغيرهم أذلاء .

---

(١) تفسير فتح القدير حـ ٥ ص١٩٣ .

قوله تعالى : (كتب الله لأغلبن أنا ورسلى) أى قضى الله وحكم فى أم الكتاب بأن الغلبة بالحجة والسيف ومايجرى مجراها تكون لله ورسله ، فقد أهلك كثيرا من أعدائهم بأنواع من العذاب كقوم نوح وقوم صالح وقوم لوط وغيرهم ثم تكون لاتباعه من بعده ، ماداموا على سنته محافظين على الحدود التى أمروا بها وجاهدوا عدوهم جهادا خالصا لله على نحو جهاد الرسل ، لا لطلب ملك وسلطان ولا لطلب دنيا ومال .

وعن مقاتل قال : لما فتح الله تعالى مكه للمؤمنين والطائف وخيبر وما حولها قالوا نرجو أن يظهرنا الله على فارس والروم ، فقال عبد الله بن أبى راس المنافقين : أتظنون أن فارس والروم كبعض القرى التى غلبتم عليها ؟ والله انهم لأكثر عددا وأشد بطشا من أن تظنوا فيهم ذلك فنزلت : " كتب الله لأغلبن أنا ورسلى " .

ونحو الآية قوله تعالى : " ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون ، وان جندنا لهم الغالبون " (١) (٢) .

قال الإمام الشوكانى رحمه الله (الجملة مستأنفه لتقرير ماقبلها مع كونهم فى الأذلين : أى كتب فى اللوح المحفوظ ، وقضى فى سابق علمه : لأغلبن أنا ورسلى بالحجة والسيف .

---

(١) سورة الصافات آية ١٧٣ .

(٢) تفسير المراغى حـ ٢٨ ص ٢٦ ، ٢٧ .

قال الزجاج : معنى غلبة الرسل على نوعين : من بعث منهم بالحرب فهو غالب فى الحرب ، ومن بعث منهم بغير الحرب فهو غالب بالحجة .

قال الفراء : كتب بمعنى قال ، وقوله " أنا " توكيد) (١) .

(وقرئ ورسلى بفتح الباء) (٢) .

قوله تعالى : (ان الله قوى عزيز) ان الله قادر و قوة على نصر رسله ان أراد شيئا يقول له كن فيكون قال تعالى : (انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون " (٣) .

---

(١) فتح القدير للامام الشوكانى حـ ٥ ص١٩٣ .

(٢) تفسير ابوالسعود حـ ٥ ص٧٠٠ .

(٣) سورة يس آية ٨٢ .

الاية الثانية والعشرون :

قال تعالى : " لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يواد ون من حاد الله ورسوله ولوكانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أوعشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون " (١) .

المعانى اللغوية :

يواد ون : يصادقون .

من حاد الله ورسوله : من يشاقق ويخالف الله ورسوله .

كتب فى قلوبهم الايمان : أى أثبت فى قلوبهم الايمان .

وأيدهم : أى قواهم .

بروح من عنده : أى برهان وهدى ونور .

حزب الله : أى جند الله وأولياءه .

سبب النزول :

(قال ابن جريج : حدثت أن أبا قحافة سب النبى صلى الله عليه وسلم فصكه أبوبكر صكة شديدة سقط منها ، ثم ذكر ذلك للنبى صلى الله عليه

---

(١) الآية رقم ٢٢ من سورة المجادلة .

وسلم ، قال : أو فعلته ؟ قال : نعم ، قال : فلا تعد اليه ، فقال أبوبكر: والله لو كان السيف قريبا منى لقتلته ، فأنزل الله تبارك وتعالى هـذه الآية) (١) .

وذكر الجزائرى أنه (ذكر لنزول هذه الاية عدة أسباب وهى ـ وان لم تنزل فى كلها فانها منطبقة عليها فقيل : انها نزلت فى عبد الله بن عبد الله ابن أبى بن سلول فقد جاء لوالده بفضلة ماء من شراب رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ لعل الله يطهر قلبه من النفاق فسأله ماهذا فأخبره فقال عليه لعائن الله : فهلا جئتنى ببول أمك فانه أطهر منها فغضب وجاء يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قتله فلم يأذن لـه .

وقيل نزلت فى أبى بكر الصديق لما ضرب والده بشدة لما سب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقيل : نزلت فى الذين بارزوا أقرباءهم يوم بدر) (٢) .

مناسبة الاية لما قبلها :

بعد أن بين المولى عز وجل أن المنافقين الذين يحلفون كذبا انهم مؤمنون ويميلون للمؤمنين تارة ولليهود تارة أخرى بين أن الشيطان كان

---

(١) أسباب النزول للواحدى ص ٢٧٧ .

(٢) هامش أيسر التفاسير حـ ٢٨ ص ٢٩٩ .

دافعا لهم وأنه أنساهم ذكر الله والايمان ، وأن صفقتهم هذه خاسرة لانهم باعوا الآخرة الدائمة بالدنيا الذائلة ثم بين ان سبب مشاقتهم لله وللرسول كتبت عليهم الذلة والمسكنة وأن العزة والغلبة لمن يؤمن بالله وبالرسول .

ثم ذكر فى هذه الآية أن الايمان الحق لا يجتمع مع موالاة أعداء الله ورسوله وأن من يؤمن بالله ايمانا حقيقيا يؤيده الله بنور يقذفه فى قلبه فتحصل له الطمأنينة والسكينة والثبات وهم جند الله وناصرو دينه .

وأن حزب الله مفلح لا محالة وقد كتبت له السعادة فى الدارين .

الشرح التحليلى :

قوله تعالى : (لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم) الخطاب هنا للرسول صلى الله عليه وسلم أو لكل من يصلح له .

(وتجد) متعد الى اثنين فقوله تعالى : (يوادون من حاد الله ورسوله) مفعوله الثانى أو الى واحد فهو حال من معقوله لتخصصه بالصفة وقيل صلة أخرى له أى قوما جامعين بين الايمان بالله واليوم الآخر وبين موادة أعداء الله ورسوله .

والمراد بنفى الوجدان نفى الموادة على معنى انه لا ينبغى أن يتحقق ذلك وحقه أن يمتنع ولا يوجد بحال وان جد فى طلبه كل أحد .

(ولو كانوا) أى من حاد الله ورسوله • والجمع باعتبار معنى مـــن كما أن الافراد فيما قبله باعتبار لفظها •

وقوله تعالى : (آباءهم) أى آباء الموادين •

(أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم) فان قضية الإيمان باللـــه تعالى أن يهجر الجميع بالمرة) (١) •

والمعنى : أنه لا يوجد قوم يجتمع فى قلبهم موادة ومحابة من عـــاد الله ورسوله ومحبة ومودة الله ورسوله لأن الإيمان والكفر نقيضان لايجتمعان فى قلب واحد • فان موادة أعداء الله تفسد الايمان وتمنع موادة الله ورسوله • أما المخالطة والمعاشرة فليست محظورة •

ثم بالغ المولى عز وجل فى هذا الامر وشدد فى الزجر وبين أنـــه لا ينبغى لمؤمن أن يفعل ذلك ولو كان مع الاقارب من آباء أو أبناء أواخوان أو العشيرة ماداموا معادين لله ورسوله لأن رابطة الدين أقوى وأشد •

قوله تعالى : (أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنـــه ، أولئك حزب الله ، ألا أن حزب الله هم المفلحون) • وهنا بين المولـــى عز وجل العلة فى عدم اجتماع الايمان ومودة أعدائه •

---

(١) انظره فى فتح القدير للشوكانى حـ ٥ ص ١٩٣ ، وابوالسعود حـ ٥ ص ٧٠٠ •

قوله تعالى : (أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان) أن هؤلاء الموصوفون بالصفات السابقة أثبت الله فى قلوبهم الايمان ، والايمان نعمة عظيمة لا تحصل لمن يواد من حاد الله ورسوله .

وفى هذا مبالغة فى الزجر عن موادة أعداء الله .

قال الامام أبو السعود رحمة الله عليه : ((أولئك) اشارة الى الذين لا يوادونهم وان كان أقرب الناس اليهم وأمس رحما وما فيه من معنى البعد لرفعة درجتهم فى الفضل وهو مبتدأ خبره (كتب فى قلوبهم الايمان) أى أثبته فيها وفيه دلالة على خروج العمل من مفهوم الايمان فان جزء الثابت فى القلب ثابت فيه قطعا ولا شئ من أعمال الجوارح يثبت فيه) (١) .

ومعنى (كتب) أى خلقه ، وقيل أثبته ، وقيل جعله وقيل جمعه . والمعانى متقاربة .

(قرأ الجمهور (كتب) مبنيا للفاعل ونصب الايمان على المفعولية ، وقرأ زر بن حبيش والمفضل عن عاصم على البناء للمفعول ورفع الايمان على النيابة) (٢) .

قوله تعالى : (وأيدهم بروح منه) أن فى الدنيا قواهم المولى عز وجل بنصر منه على عدوهم .

---

(١) تفسير أبو السعود حـ ٥ ص ٧٠٠ .

(٢) فتح القدير حـ ٥ ص ١٩٣ .

وسمى (نصره) لهم (روحا) لأن به يحيا أمرهم ، وقيل هو نور القلب وقال الربيع بن أنس : بالقرآن والحجة ، وقيل بجبريل وقيل بالإيمان وقيل برحمة .

قوله تعالى : (ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها) ذكر المولى عز وجل ما أعده لهم من النعيم المقيم . وهذا بيان لآثار رحمته الأخروية إثر بيان ألطافه الدنيوية أى يدخلهم الجنان فى الآخرة تلك الجنان التى تجرى من تحت أشجارها الأنهار أو تجرى من تحت أرضها الأنهار ماكثين فيها أبدا .

قوله تعالى : (رضى الله عنهم ورضوا عنه) قال الإمام أبو السعود رحمة الله عليه قوله تعالى (رضى الله عنهم) استئناف جار مجرى التعليل لما أفاض عليهم من آثار رحمته العاجلة والآجلة)[1] والمعنى أن المولى عز وجل رضى عنهم وقبل أعمالهم فأغدق عليهم رحمته العاجلة والآجلة فأدخلهم الجنات .

وقوله تعالى : (ورضوا عنه) أى فرحوا بما أعطاهم فى الدنيا والآخرة آجلا وعاجلا .

وهنا بيان لفرحهم وابتهاجهم بما أوتوه من رب العالمين .

---

(١) تفسير ابو السعود حـ ٥ ص ٢٠٠ .

قال الشيخ المراغى : ورضوا عنه لابتهاجهم بما أوتوا عاجلا وآجلا فانهم لما سخطوا على الأقارب والعشائر فى الله تعالى عوضهم بالرضا عنهم وأرضاهم عنه بما أعطاهم من النعيم المقيم ، والفوز العظيم ، والفضل العميم) (١) .

قوله تعالى : (أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون) أى أولئك أنصار الله وجنده ، وأتباعه وأهل كرامته أولئك الذين يمتثلون أوامره ويقاتلون أعداءه وينصرون أولياءه وهم أهل الفوز والفلاح والنصرة فى الدنيا والآخرة .

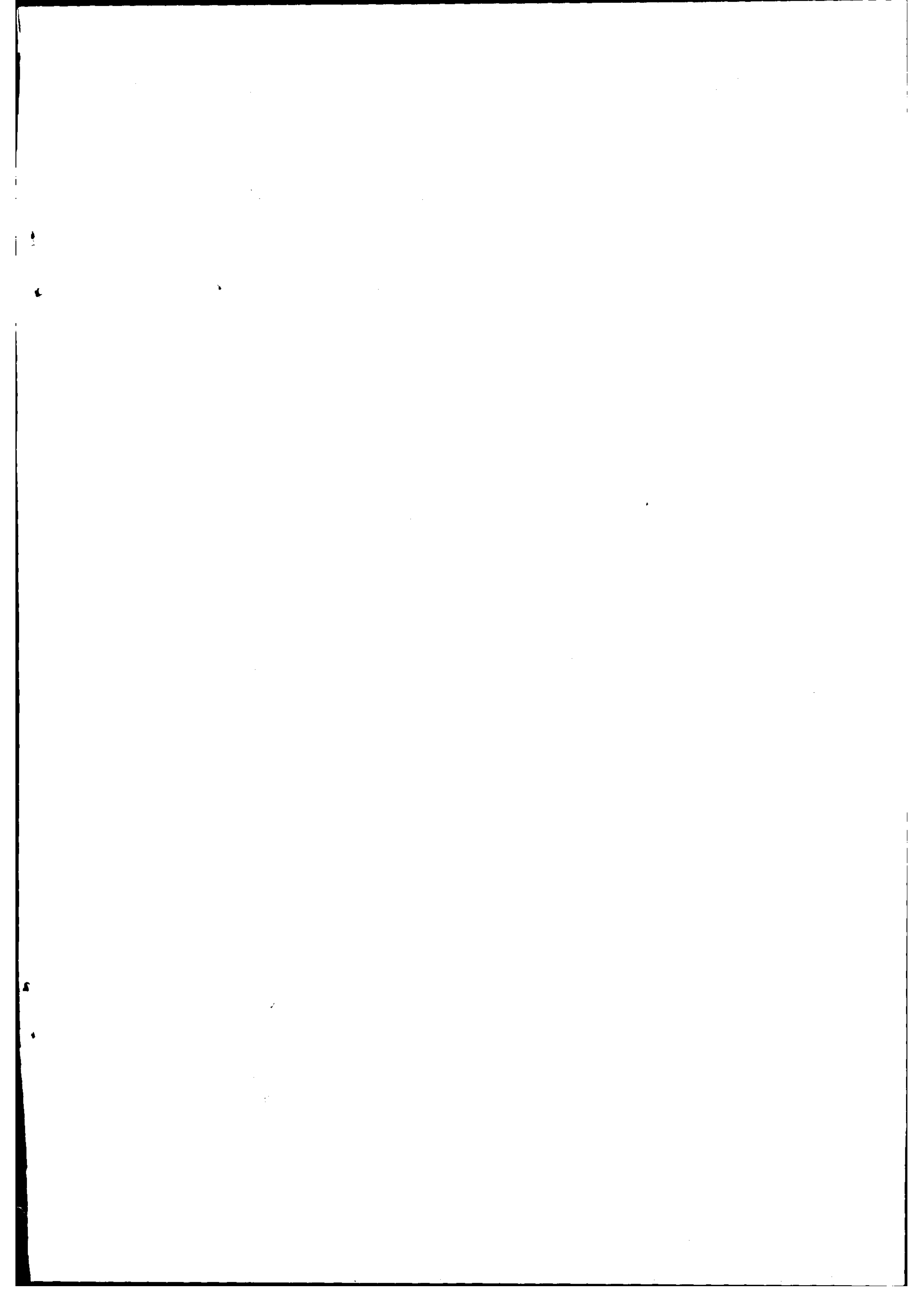
قال الإمام الشوكانى : (وفى اضافتهم الى الله سبحانه تشريف لهم عظيم وتكريم فخيم) (٢) .

وهو بيان لاختصاصهم بالفوز بسعادة الدارين والفوز بسعادة النشأتين .

---

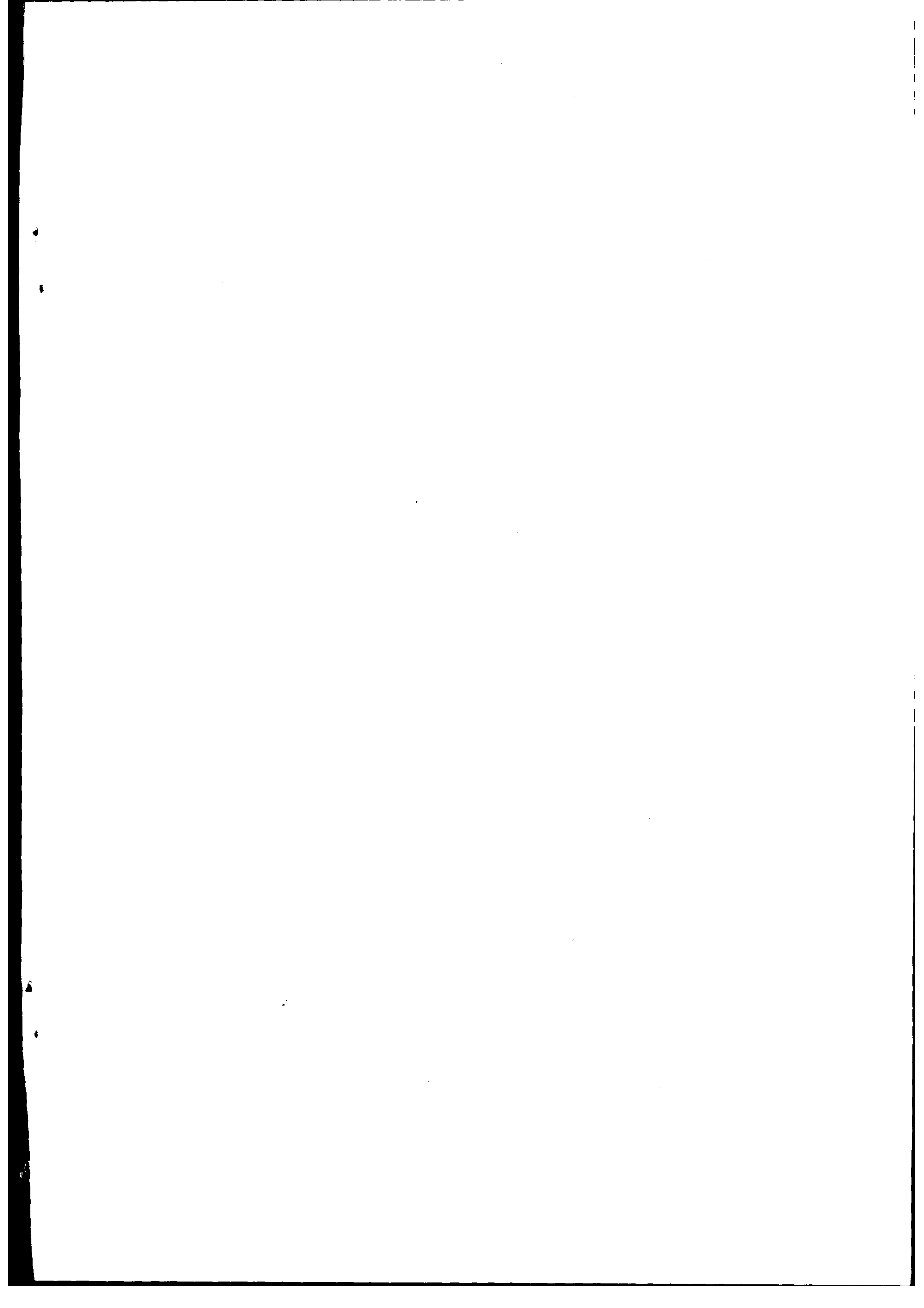
(١) تفسير الشيخ المراغى حـ ٢٨ ص ٢٩ .

(٢) فتح القدير حـ ٥ ص ١٩٣ .





الخاتمة



الخاتمــــة

وفيها نريد أن نستعرض أهم المعانى والآداب العامة التى تناولتهــا السورة الكريمة .

فقد تناولت السورة الكريمة الآتى :

ألفة الازواج ويتمثل ذلك فى عدة أمور منها تحريم الظهار باعتبـــاره منكرا وكذبا وزورا فيجب التوبة منه وبيان ما عليه فعله بالترتيب القرآنى وهـــو عتق رقبة مؤمنة فان لم يجد فعليه صوم شهرين متتابعين فان لم يجد فعليـه اطعام ستين مسكين . وان جامع المظاهر قبل اخراج الكفارة أثم . فليستغفر الله ويمتنع وليخرج الكفاره . وان فى ذلك طاعة لله ولرسوله . وأن التهديـد والوعيد والذل والهوان لكل من يحاد الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ثم بينت الآيات اتساع علم الله واحاطته بكل شئ واحصائه لأعمال العباد .

وعلمنا من الآيات مشروعية التناجى للمشاورة فى الخير وحرمتها فى الاثم والعدوان والمعصية وبيان آدابها .

ثم بينت الآيات مكر اليهود والمنافقين وكيدهم للمؤمنين فى كل زمـان ومكان ، وفضيحة المولى عز وجل لهم .

ثم بينت الآيات موقف المؤمن من تحية الكافر ، فاذا حيا الكافـــــر المؤمن فليرد المؤمن عليه بقوله " وعليكم " اسوة برسول الله صلى الله عليـــه وسلم ومن الآيات علمنا بوجوب التوكل على الله وترك الوساوس والأوهام فانهــا

من عمل الشيطان .

ثم بينت الآيات نوع من الآداب الاسلامية وهو أدب المجلس ووجوب ألفة الأصحاب فى المجالس والتوسع وخاصة فى مجالس العلم والذكر ومن الآيات علمنا مشروعية النسخ فى الشريعة الاسلامية وبيان ذلك من نسخ تقديم الصدقة بين يد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

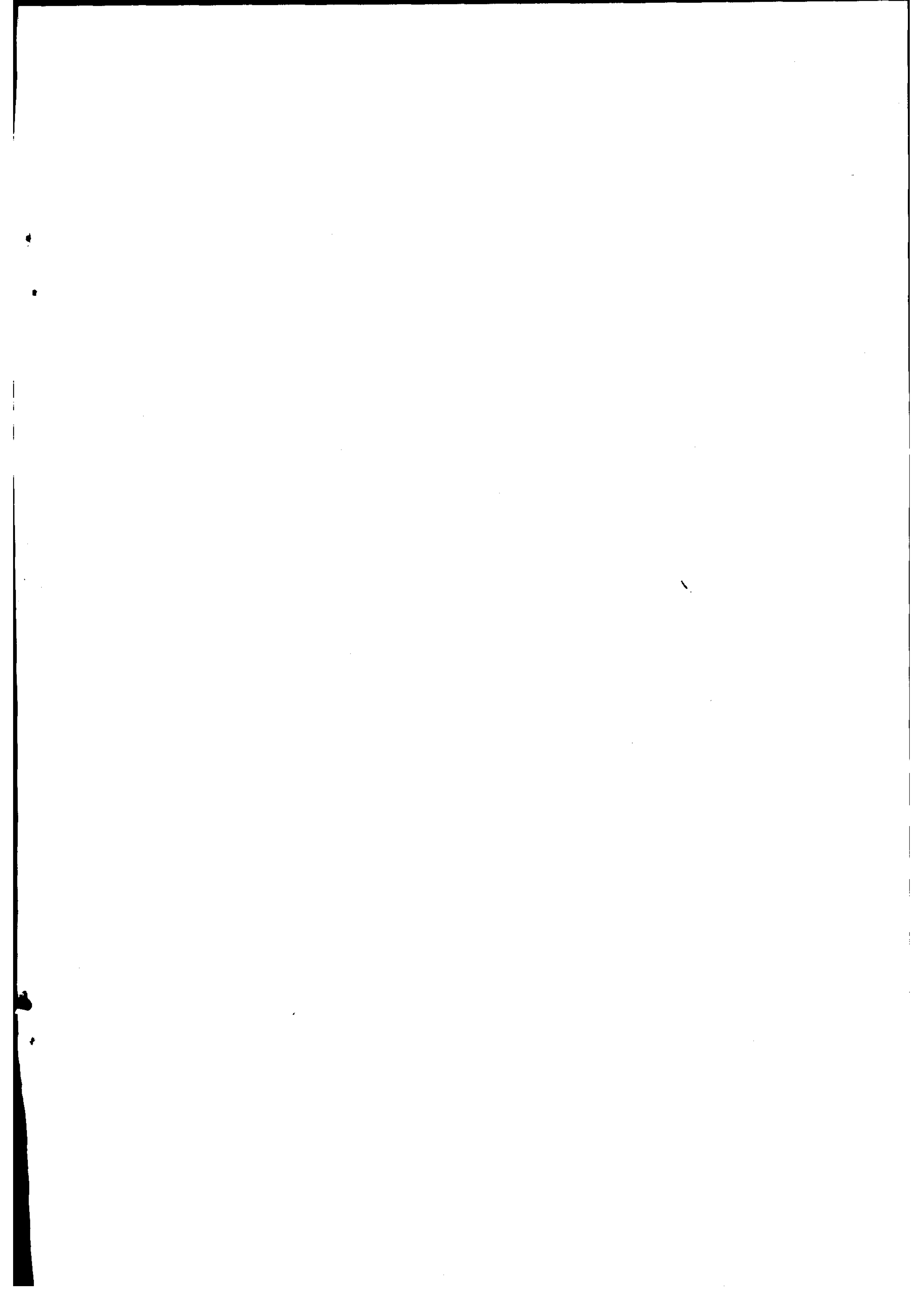
ثم بينت الآيات حرمة موالاة اليهود والكفار وان فى ذلك خيانة للأمة الاسلامية لأن فى ذلك ضعفها وتمزقها .

ثم وضحت الآيات أن من علامات انتصار الشيطان على الإنسان تركه ذكر الله بقلبه ولسانه .

ثم اختتمت الآيات بقضاء الله تعالى بنصرة رسوله صلى الله عليه وسلم وأنه صلى الله عليه وسلم وحزبه مختصين بالفوز بالسعادة فى الدارين .

والله أعلم

التفســير التحليلــى لســورة الطــلاق



سورة الطـــلاق

سورة الطلاق مدنية فى قول الجميع .

أخرج ابن الضريس وابن النحاس وابن مردويه والبيهقى عن ابن عباس قال : نزلت سورة الطلاق بالمدينة [١] .

وتسمى سورة ــ النساء القصرى ــ كذا سماها ابن مسعود كما أخرجه البخارى . وغيره ، وأنكره الداوودى ، فقال : لا أرى القصرى محفوظا ولا يقال لشئ من سور القرآن : قصرى ولا صغرى ، وتعقبه ابن حجر بأنه رد للاخبار الثابتة بلامستند والقصر والطول أمر نسبى .

(وقد أخرج البخارى عن زيد بن ثابت أنه قال : طولى الطوليين ، وأراد بذلك سورة الاعراف) [٢] ــ وهى مدنية بالاتفاق [٣] .

واختلف فى عدد آيات سورة الطلاق ففى البصرى احدى عشرة آية ، وفيما عداه اثنتا عشرة آية .

مناسبة السورة لما قبلها :

لما ذكر سبحانه فى سورة التغابن قوله تعالى " يأيها الذين آمنوا

---

(١) فتح القدير جـ ص ٢٤٠ .

(٢) جاء فى صحيح البخارى جـ٦ ص١٩٤ (لنزلت سورة النساء القصرى بعد الطولى وأولات الأحمال أطنين ان يضعن حمهلن . كتاب التفسير .

(٣) روح المعانى للآلوسى جـ ٢٨ ص ١٢٨ .

إنَّ من أزواجِكُم وأولادِكُم عدُواً لكُم فاحذَروهُم (١) وكانت العداوة قد تفضي الى الطلاق ذكر جل شأنه هنا الطلاق وأرشد سبحانه الى الانفصال منهن على الوجه الجميل ، وذكر عز وجل أيضا مايتعلق بالاولاد في الجملة .

سبب تسمية السورة بسورة الطلاق :

سميت السورة بهذا الاسم لأنها تتحدث عن أحكام الطلاق ومايتعلق به من أمور كالعدة والرجعة والاشهاد والسكنى والنفقه والارضاع .

سبب النزول :

جاء في اسباب النزول للواحدى : (روى قتادة عن أنس قال : طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة ، فأنزل الله تعالى " ياأيها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن " الآية . وقيل له راجعها فانها صوامة قوامة ، وهى من احدى أزواجك ونسائك في الجنة) (٢) .

وقال السدى : نزلت في عبد الله بن عمر ، وذلك أنه طلق امرأته حائضا ، فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يراجعها ويمسكها حتى تطهر ثم تحيض حيضة أخرى ، فاذا طهرت طلقها ان شاء قبل أن يجامعها ، فانها العدة التى أمر الله بها . (٣)

(١) الاية ١٤ من سورة التغابن .

(٢) ذكرت هذه الرواية في تفسير الجلالين ص وقال اخرجه ابن جرير عن قتادة موسلا وابن المنذر عن ابن سيرين موسلا ، ذكره ابن كثير ج ٤ ص ٣٧٧ .

(٣) ورواه ابو داود برواية أخرى في كتاب الطلاق باب طلاق السنة ج ٢ ص ٢٥٥ رقم ٢١٧٩ ـ ٢١٨٠ ، ٢١٨١ ـ ٢١٨٢ ، ٢١٨٣ ـ ٢١٨٤ بطرق مختلفة

أخبرنا منصور بن عبد الوهاب بن أحمد الشالنجى ، أخبرنا أبو عمر محمد أحمد الحبرى ، أخبرنا محمد بن ديجونة ، أخبرنا عبد العزيز ابن يحيى ، أخبرنا الليث بن سعد ، عن نافع ، عن ابن عمر أنه طلق إمرأته وهى حائض تطليقة واحدة ، فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يراجعها ثم يمسكها حتى تطهر وتحيض عنده حيضة أخرى ، ثم يمهلها حتى تطهر من حيضتها ، فان أراد أن يطلقها فيطلقها حين تطهر من قبل أن يجامعها ، فتلك العدة التى أمر الله تعالى أن تطلق لها النساء) (١) .

وقال البخارى ثنا يحيى بن بكير ثنا الليث حدثنى عقيل عن ابن شهاب أخبرنى سالم أن عبد الله بن عمر أخبره أنه طلق امرأة له وهى حائض فذكر عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتغيظ رسول الله منه ثم قال : " ليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض فتطهر فان بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهرا قبل أن يمسها فتلك العدة التى أمر بها الله عز وجل "هكذا رواه البخارى ههنا (٢) وقد رواه فى مواضع من كتابه ومسلم ولفظه " فتلك العدة التى أمر الله أن يطلق لها النساء " (٣) .

---

(١) اسباب النزول للواحدى ص ٢٨٩ .

(٢) صحيح البخارى حـ ٣ كتاب الطلاق قول الله تعالى (ياأيها النبى .... واحصر العدة) باب اذا طلقت الحائض يعتد بذلك الطلاق .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى حـ ١٠ ص ٦٠ كتاب الطلاق باب تحريم طلاق الحائض بغير رضاها . دار الريان للتراث ط الاولى ١٩٨٧ القاهرة .
وقد روى هذا الحديث من طرق متعددة وألفاظ كثيرة ورواه أصحاب الكتب والمسانيد .

سبب سؤال (جاء فى نيل الاوطار أن قوله (فذكر ذلك عمر) قال ابن العربى :

سؤال عمر محتمل أن يكون ذلك لكونهم لم يروا قبلها مثلها فسأله ليعلم

ويحتمل أن يكون لما رأى فى القرآن — فطلقوهن لعدتهن — ويحتمل أن

يكون لما سمع من النبى صلى الله عليه وسلم وآله النهى فجاء ليسأل عن

الحكم بعد ذلك) (١) .

ما الحكمة (وقد اختلف فى الحكمة فى الامر بالامساك قال الشافعى : يحتمل

أن يكون أراد بذلك : أى بما فى رواية نافع أن يستبرئها بعد الحيضة التى

طلقها فيها بطهر تام ثم حيض تام ليكون تطليقها وهى تعلم عدتها اما

بحمل أو بحيض ، أو ليكون تطليقها بعد علمه بالحمل وهو غير جاهل بما

صنع أو ليرغب فى الحمل اذا انكشف حاملا فيمسكها لأجله .

وقيل الحكمة فى ذلك أن لا تصير الرجعة لغرض الطلاق ،

أمسكها زمانا يحل له فيه طلاقها ظهرت فائدة الرجعة لانه قد يطول مقامه

معها فيجامعها فيذهب مافى نفسه فيمسكها) (٢) .

الآية الأولى : قال تعالى : " يا أيها النبيُّ إذا طلقتمُ النساءَ فطلقوهنَّ لعدتِهنَّ وأحصُوا العدةَ واتقُوا اللهَ ربكُم لا تُخرِجوهُنَّ من بُيوتِهِنَّ ولا يَخرُجْنَ إلا أن يأتِينَ بفاحشةٍ مُبَيِّنَةٍ وتِلكَ حُدودُ اللهِ ومن يتعدَّ حُدُودَ اللهِ فقد ظلمَ نفسَهُ

---

(١) نيل الاوطار حـ ٦ ص ٢٥٠ .

(٢) نيل الاوطار حـ ٦ ص ٢٥١ .

لاتَدْرِى لعلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذلِكَ أَمْراً ، (١) .

المعانى اللغوية :

يا أيها النبى : نداء للنبى صلى الله عليه وسلم .

اذا طلقتم النساء : اذا أردتم طلاقهن .

فطلقوهن لعدتهن : أى لقبل عدتهن فى طهر لم يجامعها فيه .

وأحصوا العدة : احفظوا مدتها أى عدوها .

واتقوا ربكم : أى أطيعوه فى أمره ونهيه .

لا تخرجوهن من بيوتهن : لا تخرجوا المطلقة من بيت زوجها الذى طلقها حتى تنقض عدتها .

الا أن يأتين بفاحشة مبينة : الفاحشة قد تكون بذاءة القول أو سوء الخلق أو يراد بها الزنا . ومبينة ظاهرة لاشك فيها (٢)

تلك حدود الله : الحد : الحاجز بين الشيئين الذى يمنع اختلاط أحدهما بالآخر ، أى تلك أحكام الله (٣) .

الشرح التحليلى :

قال تعالى : " يا أيها النبى اذا طلقتم النساء "

---

(١) الاية الاولى من سورة الطلاق .

(٢) أيسر التفاسير للجزائرى جـ ٢٨ ص ٣٧٢ .

(٣) المفردات فى غريب القرآن ص ١٠٩ كتاب الحاء .

(خص النداء به صلى الله تعالى عليه وسلم وعم الخطاب بالحكم (١)

لأن النبى عليه الصلاة والسلام إمام أمته كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم : يافلان افعلوا كيت وكيت اظهارا لتقدمه واعتبارا لترؤسه ، وأنه المتكلم عنهم والذى يصدرون عن رأيه ولا يستبدون بأمر دونه فكان هو وحده فى حكمهم كلهم وسادا مسد جميعهم ، وفى ذلك من اظهار جلالة منصبة عليه الصلاة والسلام مافيه ، ولذلك اختير لفظ (النبى) لما فيه من الدلالة على علو مرتبته صلى الله تعالى عليه وسلم ، وقيل : الخطاب كالنداء له على الله تعالى عليه وسلم إلا أنه أختير ضمير الجمع للتعظيم نظير مافى قوله : (ألا فارحمونى يا اله محمد) وقيل : إنه بعد ماخاطبه عليه الصلاة والسلام بالنداء صرف سبحانه الخطاب عنه لأمته تكريما له صلى الله تعالى عليه وسلم لما فى الطلاق من الكراهة فلم يخاطب به تعظيما ، وجعل بعضهم الكلام على هذا بتقدير القول أى قل لأمتك : (إذا طلقتم) ، وقيل : حذف نداء الأمة ، والتقدير يا أيها النبى وأمة النبى إذا طلقتم ، وأيما كان فالمعنى

---

(١) جاء فى كتاب دفع ايهام الاضطراب عن آيات الكتاب للشيخ الجليل محمد الامين الجكسنى الشنقيطى ص ٢٩٧ حـ ١٠ (ياأيها النبى) الاية ظاهر فى خصوص الخطاب به صلى الله عليه وسلم ، وقوله : (اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن) الآية يقتضى خلاف ذلك ، والجواب أن الخطاب الخاص بالنبى صلى الله عليه وسلم حكمه عام لجميع الامة) .

اذا أردتم تطليقهن على تنزيل المشارف للفعل منزلة الشارع فيه ، واتفقوا على أنه لولا هذا التجوز لم يستقم الكلام لما فيه من تحصيل الحاصل أو كون المعنى اذا طلقتم فطلقوهن مرة أخرى وهو غير مراد ، وقال بعض المحققين : لك أن تقول : لا حاجة الى ذلك بل هو من تعليق الخاص بالعام وهو أبلغ فى الدلالة على اللزوم كما يقال : ان ضربت زيدا فاضربه ضرباً مبرحاً لأن المعنى ان يصدر منك ضرب فليكن ضرباً شديداً ، وهو أحسن من تأويله بالارادة) (١) .

وجاء فى فتح القدير (نادى النبى صلى الله عليه وسلم تشريفاً له ثم خاطبه مع أمته . أو الخطاب له خاصة (٢) والجمع للتعظيم وأمته أسوته فى ذلك) (٣) .

والطلاق هو (التخلية من الوثاق ، يقال أطلقت البعير من عقاله وطلقته وهو طالق وطلق بلا قيد ، ومنه استعير طلقت المرأة نحو خَلَّيْتُها فهى طالق أى مخلاة عن حبالة النكاح) (٤) .

---

(١) تفسير الالوسى م ١٧ حـ٢٨ ص ١٢٨ ، ١٢٩ ، وذكر نفس المعنى صاحب فتح البارى حـ ص ٢٥٨ ، ٢٥٩ .

(٢) تحمل على أن سبب النزول تطليقه صلى الله عليه وسلم لحفصه .

(٣) فتح القدير حـ ٥ ص ٢٤٠ .

(٤) المفردات فى غريب القرآن كتاب الطاء ص ٣٠٦ .

وقال صاحب فتح البارى فى كتاب الطلاق أن الطلاق هو حـل الوثاق مشتق من الإطلاق وهو الإرسال والترك وفلان طَلِقُ اليد بالخير أى كثير البذل ٠

وفى الشرع (حل عقدة التزويج) فقط ، وهو موافق لبعض أفـراد مدلوله اللغوى : قال امـام الحرمين : هو لفظ جاهلى ورد الشـرع بتقريره ٠ وطَلُقَت المرأة بفتح الطاء وضم اللام وبفتحها أيضا وهو أفصـح ، وطُلِّقت أيضا بضم أوله وكسر اللام الثقيلة ، فان خففت فهو خاص بالولادة ، والمضارع فيهما بضم اللام ، والمصدر فى الولادة طلْقاً ساكنة اللام) (١) ٠

وجاء فى نيل الاوطار عن عكرمه قال : قال ابن عباس : (الطـلاق على أربعة أوجه : وجهان حلال ، ووجهان حرام ، فأما اللذان همـا حلال فأن يطلق الرجل امرأته طاهرا من غير جماع ، أو يطلقها حامـلا مستبينا حملها ٠

وأما اللذان هما حرام فأن يطلقها حائضا ، أو يطلقها عند الجماع لا ندرى اشتمل الرحم على ولد أم لا ٠ رواه الدارقطنى) (٢)

والمعنى : يأمر المولى عز وجل رسوله الكريم وأمته تبعاً له بأنه اذا

---

(١) فتح البارى حـ ٦٨ كتاب الطلاق ص ٢٥٨ ، وانظر فى نيل الاوطـار حـ ٦ ص ١٢٤٨ ٠

(٢) نيل الاوطار للشوكانى حـ ٦ ص ٢٥٠ ٠

أردتم تطليق النساء وعزمتم على ذلك فطلقوهن لعدتهن .

ومعنى "فطلقوهن لعدتهن" أى مستقبلات لعدتهن أو فى قبل عدتهن ، أو لقبل عدتهن . وقال الجرجانى : ان اللام فى لعدتهن بمعنى فى : أى فى عدتهن . وقال أبو حيان : هو على حذف مضاف : أى لاستقبال عدتهن ، واللام للتوقيت نحو لقيته لليلة بقيت من شهر كذا ، والمراد أن يطلقوهن فى طهر لم يقع فيه جماع ثم يتركن حتى تنقضى عدتهن ، فاذا طلقوهن هكذا فقد طلقوهن لعدتهن (١) .

وقال الامام الالوسى : (واعتبار الاستقبال ــ رأى من يرى أن العدة بالحيض وهى القروء فى آية البقرة ــ كالامام أبى حنيفة ــ ليكون الطلاق فى الطهر وهو الطلاق المأمور به ، والمراد بالامر بايقاعه فى ذلك النهى عن ايقاعه فى الحيض .

وقد صرحوا جميعا بأن ذلك طلاق بدعى حرام ، وقيد الطهر بكونه لم يجامعن فيه ، واستدل لذلك ، ولاعتبار الاستقبال بما أخرجه الامامان : مالك والشافعى والشيخان وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه وآخرون عن ابن عمر " أنه طلق امرأته وهى حائض فذكر ذلك عمر رضى الله تعالى عنه لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فتغيظ فيه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال : ليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم

---

(١) تفسير فتح القدير جـ ٥ ص ٢٤٠ .

تحيض فتطهر فان بد اله أن يطلقها طاهرا قبل أن يمسها فتلك العدة التى أمر الله تعالى أن يطلق لها النساء ٠

وقرأ النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ـ ياأيها النبى اذا طلقتم النساء فطلقوهن فى قبل عدتهن ـ وكان ابن عمر كما أخرج عنه ابن المنذر وغيره يقرأ كذلك ، وكذلك ابن عباس ، وفى رواية عنهما أنهما قرآ لقبل عدتهن ٠ ومن يرى أن العدة بالاطهار ـ وهى القروء ـ فى تلك الآية كالامام الشافعى يعلق لام التوقيت بالفعل ولا يعتبر الاستقبال ، واعترض على التأويل بمستقبلات لعدتهن بأنه ان أريد التلبس بأولها فهو للشافعى ومن يرى رأيه لا عليه وعلى المخالف لاله ، وان أريد المشارفة عادة فخلاف مقتضى اللفظ لان اللام اذا دخلت الوقت أفادت معنى التأقيت والاختصاص بذلك الوقت لا استقبال الوقت ، وعلى الاستدلال بقراءة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حسبما تضمنه الحديث السابق بان قبل الشىء أوله نقيض دبره فهى مؤكدة لمذهب الشافعى لا دافعه له ويشهد لكون العدة بالاطهار قراءة ابن مسعود ـ لقبل طهرهن ـ ومنهم من قال : التقدير لاطهار عدتهن ، وتعقب بأنه ان جعلت الاضافة بمعنى ـ من ـ دل على أن القرء هو الحيض والطهر معا ، وان جعلت بمعنى اللام فيكفى مافى قولك لاطهار الحيض من التنافر ردا مع مافيه من الاضمار من غير دليل ٠

والآية على مالا يخفى على المنصف لا تدل على أكثر من حرمته فى

الحيض ، والمراد بالنساء فيها المدخول بهن من المعتدات بالحيض على مافى الكشاف[١] ، وغيره لمكان قوله سبحانه : (فطلقوهن لعدتهن)[٢].

قال تعالى : " وأحصوا العدة " الخطاب هنا قيل للازواج وقيل للزوجات وقيل للمسلمين على العموم والأول أولى لان الضمائر كلها لهم .

ومعنى احصاء العدة هو حفظ ومعرفة الوقت الذى وقع فيه الطلاق حتى تتم العدة .

وقال الامام الالوسى : (اضبطوها وأكملوها ثلاثة قروء كوامل ، وأصل معنى الإحصاء العد بالحصى كما كان معتادا قديما ثم صار حقيقة فيما ذكر)[٣].

وجاء فى المفردات فى غريب القرآن : أن الاحصاء التحصيل بالعدد يقال أحصيت كذا وذلك من لفظ الحصا واستعمال ذلك فيه من حيث انهم كانوا يعتمدونه بالعد كاعتمادنا فيه على الاصابع"[٤].

قال تعالى : " واتقوا الله ربكم " فى تطويل العدة عليهن والاضرار بهن فلا تعصوه فيما أمركم واجعلوا بينه وبين عذاب الله وقاية . وفى وصفه

---

(١) تفسير الكشاف جـ ٤ ص ١١٧ ، ١١٨ .

(٢) تفسير الالوسى جـ ٢٨ ص ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٢ باختصار .

(٣) تفسير الالوسى جـ ٢٨ ص ١٣٣ .

(٤) المفردات فى غريب القرآن ص ١٢١ كتاب الحاء .

ما الذي يفيده وصفه ١٣٠

عز وجل نفسه بالربوبية (ربكم) تأكيد للامر بعدم المضارة لهم ومبالغة في التمسك بتقوى الله فيما أمر ومن ضمنها عدم المضارة بهن .

قال تعالى : " لا تخرجوهن من بيوتهن " أى لا تخرجوهن من البيوت التي كنا فيها عند الطلاق ماد من في فترة العدة وأضاف المولى عز وجل البيوت للزوجات وهى للازواج لتأكيد النهى عن اخراجهن من البيوت وبيان كمال استحقاقهن للسكنى فيها في مدة العدة كأنها أملاكهن .

والنهى عن الاخراج يتناول عدم اخراجهن غضبا عليهن .أو كراهة لمساكنتهن ، أو لحاجة لهم الى المساكن ، أو محض سفه بمنطوقه ،ويتناول عدم الاذن لهن في الخروج باشارته لان خروجهن محرم بقوله تعالى : (ولا يخرجن) .

قال تعالى : "ولا يخرجن " لما نهى المولى عز وجل الازواج من اخراج الزوجات من البيوت نهى الزوجات عن الخروج أيضا من البيوت ، أى لا يخرجن من البيوت ماد من في العدة الا لأمر ضرورى وقيل المراد لا يخرجن من أنفسهن الا إذا أذن لهن الازواج فلا بأس والاول أولى .

وقال الامام الالوسى رحمه الله (عدم الاذن لهن في الخروج لأن خروجهن محرم بقوله تعالى : " ولا يخرجن " أما اذا كانت لا ناهية كالتي قبلها فظاهر ، وأما اذا كانت نافية فلأن المراد به النهى ، وهو أبلغ من النهى الصريح كما لا يخفى ، والاذن في فعل المحرم محرم فكأنه قيل :

لا تخرجوهن ولا تأذنوا لهن فى الخروج اذا طلبن ذلك ولا يخرجن بأنفسهن إن أردن ، فهناك دلالة على أن سكونهن فى البيوت حق للشرع مؤكد فلا يسقط بالاذن ، وهذا على ماذكره الجلبى مذهب الحنفية ، ومذهب الشافعية أنهما لو اتفقا على الانتقال جاز اذا لحق لا يعدوهما ، فالمعنى لا تخرجوهن ولا يخرجن باستبدادهن ، وتعقب الشهاب كون ذلك مذهب الحنفية بقوله : فيه نظر ، وقد ذكر الرازى فى الاحكام مايدل على خلافه وأن السكنى كالنفقة تسقط بالاسقاط .

والذى يظهر من كلامهم ماذكره الجلبى وقد نص عليه الحصكفى فى الدر المختار ، وعلله بأن ذلك حق الله تعالى : فلا يسقط بالاذن وفى الفتح لو اختلعت على أن لا سكنى لها تبطل مؤنة السكنى عن الزوج ويلزمها أن تكترى بيته ، وأما أن يحل لها الخروج فلا) [1]

قال تعالى : " إلا أن يأتين بفاحشة مبينة " الاستثناء هنا راجع الى قوله تعالى : " لايخرجن " والمعنى لا يطلق لهن فى الخروج الا فى الخروج الذى هو فاحشة .

وأكثر المفسرين على أن المراد بالفاحشة هنا الزنا وذلك أن تزنى فتخرج لإقامة الحد عليها ، وقال الشافعى وغيره : هى البذاء فى اللسان

---

(١) تفسير الالوسى حـ ٢٨ ص ١٣٣ .

والاستطالة بها على من هو ساكن معها فى ذلك البيت ويؤيد هذا قـــول عكرمة : ان فى مصحف أبى " إلا أن يفحشن عليكم " وقيل المعنى : إلا أن يخرجن تعديا ، فان خروجهن على هذا الوجه فاحشة ، وهو بعيد .

وقال بعض المحققين : هو راجع الى الكل وما يوجب حدا من زنـا أو سرقة أو غيرهما .

(وقيل أن الاستثناء عليه راجع الى الكل لأنه اذا سقط حقها فـــى السكنى حل الاخراج والخروج أيضا ، وانما ماكان فليس فى الآية حصر المبيح لفعل المنهى عنه بالاتيان بالفاحشة)(١)

قال تعالى : " وتلك حدود الله " الاشارة هنا الى ماذكر من الأحكام أى تلك الاحكام الجليلة الشأن هى حدود الله التى حدها لعباده ، ولا يحل لهم أن يتجاوزوها إلى غيرها .

وقال تعالى : " ومن يتعد حدود الله " قيل أن المراد بالتعـــدى هنا تجاوز حدود الله الى غيرها وقيل أن يخل بشئ منها . فمن يتجـــاوز عما شرعة الله وبينه للناس أو خل بشئ من تلك الحدود فان المولى عز وجـل اعتبره متعدى على شرع الله .

والاظهار فى موضع الاضمار لتهويل أمر التعدى والإشعار بعلة الحكم فى قوله تعالى " فقد ظلم نفسه " .

---

(١) انظره فى تفسير الالوسى حـ ٢٨ ص ١٣٤ .

وقوله تعالى : " فقد ظلم نفسه " بايرادها مورد الهلاك وايقاعها فى مواقع الضرر بعقوبة الله له على مجاوزته لحدوده وتعديه لرسمه (وقال شيخ الاسلام ـ ظلم نفسه ـ أى أضر بها ونقل عن بعض تفسير الظلم بتعريضها للعقاب وتعقبه بأنه يأباه قوله سبحانه (١) " لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا " جملة مستأنفه مقررة لمضمون ماقبلها وتعليله .

وقد جمع المفسرون على ان المراد بالامر هنا الرغبة فى الرجعة فالله هنا يقلب القلوب فقد يرى الزوج ارجاع زوجته .

والمعنى : التحريض على طلاق الواحدة والنهى عن الثلاث ، فانه اذا طلق ثلاثا أضر بنفسه عند الندم على الفراق والرغبة فى الارتجاع فلا يجد الى المراجعة سبيلا وقال مقاتل بعد ذلك : أى بعد طلقة أو طلقتين أمرا بالمراجعة ، قال الواحدى : الامر الذى يحدث أن يوقع فى قلب الرجل المحبة لرجعتها بعد طلقة أو طلقتين أمرا بالمراجعة . قال الزجاج : واذا طلقها ثلاثا فى وقت واحد فلا معنى لقوله ـ لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا ـ .

الشرح الاجمالى للآية :

يخاطب المولى عز وجل رجال أمة الاسلام فى شخصية نبيها محمد على

---

(١) تفسير الالوسى حـ ٢٨ ص ١٣٤ .

الله عليه وسلم فيقول اذا طلقتم نسائكم فلابد أن تحصوا العدة وأن يكون الطلاق فى طهر لم تجامع فيه لتعد ذلك الطهر أول عدتها واحفظوا العدة لتعرفوا بدايتها ونهايتها لما يترتب على ذلك من أحكام ، ثم يأمرهم بالامتثال لاوامره وأن لا يتعدوا حدود الله بأن يخرجوا المطلقات من بيوتهن اللاتى طلقن فيهن ويجب على النساء الا يخرجن من البيوت الا أن يأتين بفاحشة واضحة كزنا أو سرقة فتخرج المطلقة لتطبيق الحد عليها أو أن تكون بذيئة اللسان فتأذى به من يعيش معها فى المسكن . ثم بين المولى عز وجل أن من يتعدى حدود الله فقد ظلم نفسه وتعرض لعقوبة الله ولعل الله أراد من مكوث المطلقات فى مساكنهن حكم منها أن يجعل الله تعالى فى قلب الرجل رغبة فى مراجعة مطلقته فيراجعها وفى ذلك خير كثير .

والآية بينت ان السنه فى الطلاق ان يطلق الزوج زوجته وهى فى طهر لم يمسها فيه ، وجوب احصاء العدة لما يترتب عليه من أحكام كالرجعة والنفقة والاسكان ثم بينت الآية حرمة إخراج المطلقة من مسكنها قبل انقضاء عدتها إلا ان ترتكب فاحشة ظاهرة .

والله أعلم بالصواب .

الآية الثانيـــة :

قال تعالى : " فاذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهـــن بمعروف وأشهدوا ذوى عدل منكم وأقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجا " (١) .

المعانى اللغوية :

فاذا بلغن أجلهن : أى قارىن انقضاء أجل العدة .

فأمسكوهن بمعروف : أى بأن تراجعوهن من غير ضرر .

أو فارقوهن بمعروف : أى اتركوهن حتى ينقض عدتهن فيملكن نفوسهن مـــع ايفائهن بما هو لهن عليكم من الحقوق وترك المضـــارة لهن .

وأشهدوا ذوى عدل منكم : أى أشهدوا على الطلاق وعلى الرجعه رجليـــن من المسلمين العدول .

وأقيموا الشهادة لله : أى خالصة لله وحده لا للمشهود عليه أو له .

ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر : أى ماذكر من أحكام فى أول السورة يؤمر به كل مؤمن .

ومن يتق الله : أى فى أمره ونهيه فلا يعصيه فيهما .

يجعل له مخرجا : أى يجعل له مخرجا مما وقع فيه من الشدائد والمحن .

---

(١) الآية رقم (٢) من سورة الطلاق .

سبب النزول :

قوله تعالى : " ومن يتق الله يجعل له مخرجا " هذه الآية نزلت في عوف بن مالك الاشجعي أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله ان ابني أسره العدو وجزعت أمه فبم تأمرني ؟ قال آمرك واياها أن تكثرا من قول : لا حول ولا قوة الا بالله . فقالت المرأة : نعْمَ ما أمرك به . فجعلا يكثران منها فغفل العدو عن ابنهما فاستاق غنمهم وجاء بها الى أبويه فنزلت هذه الآية) (١) .

وهي عامة في كل من يتق الله فانه يجعل له من كل ضيق مخرجا ومن كل كرب فرجا والعبرة هنا بالعموم وليست بخصوص السبب والله أعلم .

الشرح التحليلي :

مازال السياق القرآني يتحدث عن العدة وأحكام الطلاق والرجعة فيقول المولى عز وجل : " فاذا بلغن أجلهن " المراد بالبلوغ هنا القرب وليس المراد به الوصول للنهاية أي أن قارب المطلقات فترة انقضاء العدة وشارفن آخرها .

("فأمسكوهن بمعروف") المراد بالامساك هنا مراجعتهن قبل انقضاء

---

(١) أيسر التفاسير لابي بكر الجزائري حـ ٢٨ ص ٣٧٥ ، وأسباب النزول للواحدي ص ٣٢٣ المكتبة التوفيقية .

عدتهن .

وقيد المولى عز وجل الامساك هنا بالمعروف ليؤكد على حسن معاشرتهن رغبة فيهن لا للاضرار بهن كأن يراجعها ثم يطلقها ليطول عليها العدة فهذا لا يجوز لحرمة الاضرار بالمرأة وفى الحديث " لا ضرر ولا ضرار " (١) .

وقوله تعالى : " أو فارقوهن بمعروف " المراد بالمفارقة هنا الترك أى أتركوهن من غير اضرار بحقوقهن وذلك بأن لا يعنفها أو يضربها أو يسىء معاملتها بعد ان ملكن أنفوسهن .

وكرر المولى عز وجل كلمة (بمعروف) هنا فى قوله تعالى : "فأمسكوهن بمعروف" وقوله تعالى : " أو فارقوهن بمعروف " ليؤكد للمؤمنين بضرورة حسن المعاشرة وأن تكون المراجعة أساسها الرغبة فيهن . واذا اختار الأخرى فلابد أن تكون بغير ضرر لهن أى يحسن معاملتها ويعطيها كل حقوقها التى كفلها الشارع لها ولاختلاف المعروف فى الحالين .

قوله تعالى : "وأشهدوا ذوى عدل منكم" . جاء فى أيسر التفاسير (أى أشهدوا على النكاح والطلاق والمرجعة أما الاشهاد على النكاح فركن ولا يصح النكاح بدونه وأما فى الطلاق والرجعه فهو مندوب ، وقد يصح

---

(١) أخرجه ابن ماجة فى سننه كتاب الاحكام باب من بنى فى حقه مايضر جاره حـ ٢ / ٧٨٤ ط عيسى البابى الحلبى ، احمد بن حنبل حـ ٥ / ٣٢٧ .

الطلاق والرجعة بدونه ويشترط فى الشهود أن يكونوا عدولا ، وأن يكونوا مسلمين لا كافرين) [١] . وقيل : (أى على الرجعة إذا عزمتم عليها لما رواه أبو داود وابن ماجه عن عمران بن حصين انه سئل عن الرجل يطلق المرأة ثم يقع بها ولم يشهد على طلاقها وعلى رجعتها فقال طلقت لغير سنه وراجعت لغير سنه وأشهد على طلاقها وعلى رجعتها ولا تعد) [٢] .

وقال ابن جريج كان عطاء يقول " وأشهدوا ذوى عدل منكم " قال لا يجوز فى نكاح ولا طلاق ولا رجاع إلا شاهدا عدل كما قال الله عز وجل إلا أن يكون من عذر .

وجاء فى فتح القدير للامام الشوكانى (وأشهدوا ذوى عدل منكم) على الرجعة ، وقيل على الطلاق . وقيل عليهما قطعا للتنازع وحسما لمادة الخصومة) [٣] .

وأوجب الحنابلة شهادة رجلين فى القصاص وفى كل ماليس بعقوبة ولا مال ولا يقصد به المال ويمكن أن يطلع عليه الرجال غالبا كالنكاح والطلاق والرجعة والخلع والنسب والولاء والايصاء فى غير المال دون النساء [٤] .

---

(١) أنظر أيسر التفاسير لابى بكر الجزائرى حـ ٢٨ ص ٣٧٥ .

(٢) سنن ابى داود ـ كتاب الطلاق ـ باب الرجل يراجع ولا يشهد حديث رقم ٢١٨٦ حـ ٢ ص ٢٥٧ .

(٣) فتح القدير للامام الشوكانى حـ ٥ ص ٢٤١ .

(٤) حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع حـ ٧ فصل فى عدد الشهود ص ٦٠٧ ، ٦٠٨ ، ٦٠٩ بتصرف .

وذهب البعض إلى أنه تقبل شهادة النساء في الرجعه لأن حضورهن عند الرجعه أيسر •

(قال ابن القيم : في حديث عمرو بن شعيب ، اذا أقامت شاهدا واحدا على الطلاق ، فان حلف الزوج أنه لم يطلق لم يقض عليه ، وان لم يحلف ، حلفت المرأة ويقضى عليه ،) وقد احتج به الائمة وذلك لأن الرجل أعلم بنفسه هل طلق أو لا ، وهو أحفظ لما وقع منه ، واذا نكل ، وقام الشاهد الواحد ، وحلفت المرأة ، كان دليلا ظاهرا على صدقها ، قال : ولا شيء أحسن ولا أقوى من هذه الحكومة • انتهى •

ثم تحدث عن الرجعه فقال : والصحيح قبول شهادة النساء في الرجعة فان حضورهن عند الرجعة ، أيسر من حضورهن عند كتابة الوثائق ، وفي مغنى ذوى الافهام : وتقبل في النشوز ، لأنه مما لا يطلع عليه الرجال غالبا •

وللامام أحمد روايتان هل يقبل في الرجعة رجل وامرأتان أم لابد من رجلين •

قال : وقد استقرت الشريعة ، على أن شهادة المرأة ، نصف شهادة الرجل ، فالمرأتان في الشهادة ، كالرجل الواحد ، بل هذا أولى ، فان حضور النساء عند الرجعة أيسر من حضورهن عند كتابة الوثائق بالديون ، وكذا حضورهن عند الوصية ، وقت الموت ، فاذا سوغ فيها ، فهنا أولى ، يوضحه :

أنه قد شرع فى الوصية ، استشهاد آخرين ، من غير المسلمين ، عند الحاجة فلأن يجوز استشهاد رجل وامرأتين ، بطريق الاولى والأحرى .

وقال فى المرأة (شهادتها بنصف شهادة الرجل) ولم يقيد ، وقال للمدعى (شاهداك أو يمينه) وقد عرف أنه لو أتى برجل وامرأتين حكم له ولو لم يأت المدعى بحجة ، حلف المدعى عليه ، وأن المقصود بالشهادة : أن يعلم بها ثبوت المشهود به وأنه حق ، فاذا علقت المرأة وحفظت ، وكانت ممن يوثق بدينها فان المقصود حاصل بخبرها ، ولهذا تقبل شهادتها فى مواضع) (١) .

الرجعه الوصيه

ومن ذلك يتبين لنا أن المولى عز وجل أمر بالاشهاد فى النكاح والطلاق والرجعه وفرق العلماء فى الامر فقيل أن فى النكاح واجب لان الاشهاد فيه ركن ولا يصح النكاح بدونه أما الطلاق والرجعه فهو مندوب وقد يصح الطلاق والرجعه بدونه ولكن يكون قد ترك السنه .

الخلاصه

أما بالنسبة للشهادة فاتفق العلماء على أن تكون الشهادة من اثنين واختلفوا فى جواز شهادة المرأة والراجح جواز شهادتها فى الطلاق والرجعه لأن حضورهن فى هذه المواطن أيسر مع ملاحظة أن شهادة المرأة تعدل نصف شهادة الرجل والله أعلم .

---

(١) هامش الروض المربع ، المجلد السابع من ص ٦٠٨ الى ٦١٠ ، الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ .

وقوله تعالى : " عدل " أى يشترط فى الشهود أن يكونوا عدول قال ابن رشد : اتفقوا على أنه شرط فى القبول ، وأنه لا تجوز شهادة الكافر ، واستثنى الوصية ، للآية . انتهى .

وجاء فى الروض المربع فصل فى شرط من تقبل شهادتهم : سته وعد الشرط الرابع (الاسلام) لقوله تعالى (وأشهدوا ذوى عدل منكم) قيل : أى صاحب عدل فى المقال ، وهو الصدق ، والبيان الذى هو ضد الكذب والكتمان ، كما بينه فى قوله (واذا قلتم فاعدلوا [١]) انتهى . فلا تقبل من كافر ولو على مثله [٢] الا فى سفر على وصية مسلم [٣]) [٤] .

قال تعالى : (وأقيموا الشهادة لله) أى أشهدوا بالحق دون تحيز لأحد خالصةً لوجه الله تعالى من غير تبديل ولا تغيير ودون مراعاة للمشهود له أو المشهود عليه [٥] .

---

(١) الاية ١٥٢ من سورة الانعام .

(٢) ولو على كافر مثله ، وعنه تقبل شهادة بعضهم على بعض المجلد ٧ ص ٢٩٢ هامش روض المربع .

(٣) يقتضى أن تقبل شهادة الكافر فى حالة الضرورة عند الوصية فى السفر .

(٤) انظر حاشية الروض المربع شرح زاد المستنقع المجلد السابق فصل فى شروط من تقبل شهادتهم ص ٢٩٢ .

(٥) صفوة التفاسير لمحمد على الصابونى المجلد الثالث الطبعة الثالثة ص ٤٠٠ .

وجاء فى ظلال القرآن أن القضية قضية الله والشهادة فيها لله هو يأمر بها وهو يراقب استقامتها وهو يجزى عليها ، والتعامل فيها معه لا مع الزوج ولا الزوجة . انتهى (١) .

فان الأمر هنا إما أن يكون للشهود بأن يأتوا بما شاهدوا به تقربا لله وإما أن تكون الشهادة هنا للازواج بأن يقيموا الشهود عند الرجعة فيكون قوله : " وأشهدوا ذوى عدل منكم " أمر بنفس الاشهاد ، ويكون قوله : " وأقيموا الشهادة) أمرا بأن تكون خالصة لله .

قال تعالى : " ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر " أى هذا الذى شرعناه من الأحكام وانما ينتفع ويتعظ به المؤمن الذى يخشى الله ويخاف الحساب والعقاب فى الدار الآخرة ومن ضمن ما شرعه الله لنا فى الآية الاشهاد واقامة الشهادة والمخاطبون فى هذه الآية هم المؤمنون المعتقدون بالله واليوم الآخر فهو يقول لهم أنه يعظهم بما هو من شأنهم فاذا صدقوا يكون هذا هو محك ايمانهم ومقياس دعواهم فى الإيمان وخص المولى عز وجل المؤمن هنا لانه المنتفع بذلك دون غيره (٢) .

وقال الجزائرى : أن (ذلك) تعود على المأمور به من أول السورة كالطلاق فى طهر لم يجامعها فيه وكإحصاء العدة وعدم إخراج المطلقة من

---

(١) فى ظلال القرآن حـ ٦ ص ٣٦٠١ .

(٢) انظر : الشوكانى حـ ٥ ص ٢٤١ وابن كثير حـ ٤ ص ٣٧٩ .

بيتها والامساك بالمعروف والفراق بالمعروق والاشهاد فى النكاح والطلاق والرجعة كل ذلك يؤمر به وينفذه من كان يؤمن بالله واليوم الآخر اذ هو الذى يخاف عقوبة الله وعذابه فلا يقدم على معصيته (١).

قال تعالى : "ومن يتق الله يجعل له مخرجا" المراد باتقاء الله هنا اتقاء عذابه ويكون ذلك بامتثال أوامره واجتناب نواهيه والوقوف على حدوده التى حدها.

وقال الامام سيد قطب عند ذكر قوله تعالى : "ومن يتق الله ..." مخرجا من الضيق فى الدنيا والآخرة ورزقا من حيث لا يقدر ولا ينتظر وهو تقرير عام وحقيقة دائمة ولكن الصاقها هنا بأحكام الطلاق يوحى بدقة انطباقها وتحققها عند ما يتقى المتقون الله فى هذا الشأن بصفة خاصة ، وهذا الشأن الذى لا ضابط فيه أحسن ولا أدق من ضابط الشعور والضمير فالتلاعب فيه مجال واسع لا يقف دونه الا تقوى الله وحساسية الضمير. انتهى (٢).

الشرح الاجمالى للآية :

فى هذه الآية القرآنية خير المولى عز وجل الأزواج بأنه قرب انتهاء فترة

---

(١) انظر أيسر التفاسير باختصار جـ ٢٨ ص ٣٧٥.

(٢) فى ظلال القرآن جـ ٦ ص ٣٦٠١.

العدة على الزوج إحدى أمرين اما أن يراجع زوجته رغبة فيها وإما أن يتركها حتى تنقض عدتها مع حسن المعاملة وعدم الاضرار بحقوقها التى شرعها الحاكم لها . ثم أمر المولى عز وجل بالاشهاد فى الطلاق والرجعة وأن يشترط فى الشهود العدالة والاستقامة وأن يكونوا ممن يثق فى دينهم وأمانتهم ثم وضح لنا المولى عز وجل أن تكون تلك الشهادة بالحق خالصة لوجه الله تعالى من غير تحيز ودون مراعاة للمشهود له أو المشهود عليه وكل ماشرعه الله فى الآية من أحكام انما ينتفع ويتعظ به المؤمن الذى يخاف الله ويخشى العقاب فى الدار الآخرة . وان من يراقب الله ولا يتعدى حدوده يجعل المولى عز وجل له من ضيقه فرج ومخرج من حيث لا يحتسب ولا يدرى .

والله أعلم .

الآية الثالثة :

قال تعالى : " ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغُ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً " (١) .

المعانى اللغوية :

لا يحتسب : لا يرجو ولا يؤمل ولا يخطر بباله ولا يكون فى حسبانه .

فهو حسبه : فهو كافيه .

قدرا : ميقاتا وقدرا وأجلا ينتهى اليه .

سبب النزول :

قال الواحدى : نزلت الآية فى عوف بن مالك الاشجعى ، وذلك أن المشركين أسروا ابنا له ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا اليه الفاقة ، وقال : ان العدو أسر بنى وجزعت الأم فما تأمرنى ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم : اتق الله واصبر ، وآمرك واياها أن تستكثروا من قول : لا حول ولا قوة الا بالله ، فعاد إلى بيته وقال لإمرأته : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنى واياك أن نستكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله ، فقالت : نِعمَ ما أمرنا به ، فجعلا يقولان ، فغفل العدو عن ابنه فساق

---

(١) الآية رقم ٣ من سورة الطلاق .

غنمهم وجاء بها الى أبيه وهى أربعة آلاف شاة ، فنزلت هذه الآية (١).

ب) وذكر أيضا فى اسباب النزول عن جابر بن عبد الله قال : نزلت هذه الآية ـ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ـ فى رجل من أشجع كان فقيرا خفيف ذات اليد كثير العيال ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله فقال : اتق الله واصبر ، فرجع الى أصحابه فقالوا : ما أعطاك رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : ما أعطانى شيئا قال : اتق الله واصبر ، فلم يلبث الا يسيرا حتى جاء ابن له بغنم وكان العدو أصابوه ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عنها وأخبره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اياكها) (٢).

ج) وذكر فى التفسير العظيم فى قوله : " ومن يتوكل على الله فهو حسبه " قال الامام احمد راويا الحديث عن عبد الله بن عباس أنه ركب خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوما فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم " ياغلام انى معلمك كلمات : احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك ، واذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله وأعلم ان الأمة لو اجتمعوا على

---

(١) اسباب النزول للواحدى ص ٢٨٩، ٢٩٠ . وذكره ابن كثير جـ ٤ ص وذكره الجزائرى فى المجلد الخامس ص ٣٧٦.

(٢) اسباب النزول للواحدى ص ٢٩٠ .

ان ينفعوك لم ينفعوك الا بشئ كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك الا بشئ قد كتبه الله عليك رفعت الاقلام وجفت الصحف" (١) .

الشرح التحليلي للآية :

قال تعالى : " ويرزقه من حيث لا يحتسب " قد بينت الآية السابقة أن من يتق الله فانه يجعل له من كل ضيق مخرجا ومن كل كرب فرجا وهنا تضيف الآية الكريمة لما سبق بأن الله يرزقه من حيث لا يؤمل ولا يرجو ولا يخطر على باله .

قال الامام الالوسى فى قوله تعالى : " ويرزقه من حيث لا يحتسب " من الثواب وقال التنويع فى الوعد للمتقى وتكرير الحث عليه بعد الدلالة على أن التقوى ملاك الأمر عند الله تعالى ناط به سبحانه سعادة الدارين يدل على أن أمر الطلاق والعدة من الأمور التى تحتاج الى فضل تقوى لأنه أبغض المباح الى الله عز وجل لما يتضمن من الايحاش وقطع الالفة الممهدة ثم الاحتياط فى أمر النسب الذى هو من جلة المقاصد يؤذن بالتشديد فى أمر العدة فلابد من التقوى ليقع الطلاق على وجه يحمد عليه ، ويحتاط

---

(١) التفسير العظيم لابن كثير جـ ٤ ص ٣٨٠ وقد رواه الترمذى من حديث الليث بن سعد وابن لهيعه به وقال حسن صحيح . سنن الترمذى ـ قيامه ـ ٩ ، مسند احمد بن حنبل جـ ١ ص ٢٩ .

فى العدة مايجب فهناك يحصل للزوجين المخرج فى الدنيا والآخرة ، وعليه فالزوجة داخلة فى العموم كالزوج (١) .

قال تعالى : " ومن يتوكل على الله فهو حسبه " أى من يتوكل على الله عز وجل فى جميع أموره فان الله كافيه وقال الامام الشوكانى أى ومن وثق بالله فيما نابه كفاه ما أهمه (٢) . عن وهب قال : " يقول الرب تبارك وتعالى : اذا توكل على عبدى لو كادته السماوات والارض جعلت له من بين ذلك المخرج " .

قال تعالى : " ان الله بالغ أمره " قال الامام ابن كثير ان الله منفذ قضاياه وأحكامه فى خلقه بما يريده ويشاؤه (٣) .

قال الامام الالوسى رحمة الله عليه قوله تعالى : " ان الله بالغ أمره " باضافة الوصف الى مفعوله والاصل بالغ أمره بالنصب – كما قرأ به الاكثرون – أى يبلغ مايريده عز وجل ولا يفوته مراد .

وقرأ ابن أبى عبلة فى رواية . وداود بن أبى هند . وعصمة عن أبى عمرو – بالغ – بالرفع منوناً (أمره) بالرفع على أنه فاعل – بالغ – الخبر –

(١) روح المعانى للالوسى حـ ٢٨ ص ١٣٦ .
(٢) تفسير الشوكانى حـ ٥ ص ٢٤٢ .
(٣) ابن كثير حـ ٤ ص ٣٨١ .

لأن أو مبتدأ ، و (بالغ) خبر مقدم له ، والجملة خبر (ان) أى نافذ أمره عز وجل ، وقرأ المفضل فى رواية أيضا(بالغا)بالنصب (أمره) بالرفع، وخرج ذلك على أن بالغا حال من فاعل (جعل) فى قوله تعالى : (قد جعل الله لكل شئ قدرا) لا من المبتدأ لأنهم لا يرتضون مجئ الحال منه . وجملة (قد جعل) الخ خبر (إن) ، وجوز أن يكون بالغا هو الخبر على لغة من ينصب الجزأين - بان . وتعقب بأنها لغة ضعيفة (١) .

قال تعالى : " قد جعل الله لكل شئ قدرا " أى قد جعل الله لكل شئ تقديرا وتوقيتا أو مقدارا فقد جعل الله للشدة أجلا تنتهى اليه وللرخاء أجلا تنتهى اليه .

(وهو بيان لوجوب التوكل عليه تعالى وتفويض الامر اليه لانه اذا علم أن كل شئ من الرزق وغيره لا يكون إلا بتقديره تعالى لا يبقى إلا التسليم للقدر والتوكل على الله تعالى) (٢) .

جاء فى روح المعانى : ((قدرا) تقديرا ، والمراد تقديره قبل وجوده ، أو مقدارا من الزمان ، وفيه تقرير لما تقدم من تأقيت الطلاق والامر باحصاء العدة ، وتمهيد لما سيأتى ان شاء الله تعالى من مقاديرها

---

(١) روح المعانى للالوسى حـ ٢٨ ص ١٣٦ .

(٢) تفسير ابوالسعود حـ ٥ ص ٧٣٤ .

وقرأ جناح بن جبهس (قدرا) بفتح الدال . (١) .

قال الامام سيد قطب رحمه الله (ان الله بالغ أمره فما قدر وقع وما شاء كان فالتوكل عليه توكل على قدرة القادر وقوة القاهر الفعال لما يريد البالغ مايشاء .

والنص عام والمقصود به هو انشاء التصوير الايمانى الصحيح فى القلب بالنسبة لارادة الله وقدره ولكن وروده هنا بمناسبة احكام الطلاق له ايحاؤه فى هذا المجال وأثره . وكل شئ مقدر بزمانه ومكانه ونتائجه واسبابه وليس شئ مصادفه وليس شئ جزافا فى هذا الكون كله وفى نفس الانسان وحياته وهى حقيقة صحيحة يقوم عليها جانب كبير من التصور الإيمانى وذكر هذه الحقيقة الكلية يربط بها ما قدره الله عن الطلاق وفترته والعدة ووقتها والشهادة واقامتها ويطبع هذه الأحكام بطابع السنة الإلهية النافذه والناموس الكلى العام ويوقع فى الحس ان الأمر حد من حد النظام الكونى المقدر فى كل خلق الله) (٢) .

---

(١) تفسير الالوسى حـ ٢٨ ص ١٣٦ .

(٢) تفسير سيد قطب م ٦ ص ٣٦٠١ ، ٣٦٠٢ .

الآية الرابعـة :

قال تعالى : " واللائى يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبـتم
قعدتهن ثلاثة أشهر واللائى لم يحضن واولا ت
الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن ومن يتق اللـه
يجعل له من أمره يسرا " (١) .

المعانى اللغوية :

واللائى يئسن من المحيض : أى النسوه اللائى انقطع حيضهن
ان ارتبـتم : الريب هو اللبس والشك
واللائى لم يحضن : لصغر سن أو لمرض .
وأولات الاحما ل : أولات أى ذوات والمقصود بهـا
النساء الحوامل .
أجلهـن : أى عدتهن

سبب النزول :

نزلت هذه الآية لتحدد المدة التى فرضها الشرع لغـير
ذ وات الحيض والحمل وهذه الآية تبين وتنفى اللبس والشك .

---

(١) الاية رقم (٤) من سورة الطلاق .

قال البخارى : ثنا سعيد بن حفص ثنا شيبان عن يحيى قال أخبرنى أبو سلمة قال : جاء رجل الى ابن عباس وابو هريره جالس فقال افتنى فى امرأة ولدت بعد زوجها بأربعين ليلة فقال ابن عباس اخر الاجلين قلت أنا (واولات الاحمال اجلهن أن يضعن حملهن) قال ابو هريرة أنا مع ابن اخى - يعنى أبا سلمه - فأرسل ابن عباس غلامه كريبا الى أم سلمة يسألها فقالت : قتل زوج سبيعة الأسلميه وهى حبلى فوضعت بعد موته بأربعين ليلة فخطبت فأنكحها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أبو السنابل فيمن خطبها . انتهى [1].

الشرح التحليلى :

يستمر السياق القرآنى فى حديثه عن العدة وأحكام الطلاق والرجعه فيحدد فى هذه الآية العدة لغير ذوات الحيض والحمل ويشمل اللواتى انقطع حيضهن واللاتى لم يحضن بعد لصغر أو لعلة وعدتهم ثلاثة أشهر اما الحوامل فجعل عدتهن بالوضع .

---

(١) فتح البارى شرح صحيح البخارى جـ٨ كتاب التفسير (٦٥) سورة الطلاق حديث رقم ٤٩٠٩ ص ٥٢١ .

قال تعالى : " واللائى يئسن من المحيض من نسائكم " أى الكبار اللاتى قد انقطع حيضهن ويئسن من رجوعه (كمن تجاوزت الخمسين من عمرها اذا طلقت بعد الدخول بها)[١].

ما المراد بالريب

وقوله تعالى : " ان ارتبتم " . فيه قولان : (أحدهما) ان رأين دما وشككتم فى كونه حيضا أو استحاضه وارتبتم فيه ، (والقول الثانى) ان ارتبتم فى حكم عدتهن ولم تعرفوه ، فهو ثلاثة أشهر ، وهو أظهر فى المعنى[٢].

وقال تعالى : " فعدتهن ثلاثة أشهر " أى أن مدة عدتهن ثلاثة أشهر .

وقال تعالى : " واللائى لم يحضن " أى واللائى لم يحضن لصغر سنهن أى انهم لم يبلغوا سن المحيض أو اللائى لم يحضن لعلة فعدتهن كذلك ثلاثة أشهر .

لماذا لم نذكر

وذكر الشوكانى أن عدم ذكر العدة هنا صراحة لدلالة

---

(١) الجزائرى جـ ٢٨ ص ٣٧٧ .

(٢) تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٣٨١ .

وتفسير الشوكانى جـ٥ ص ٢٤٢ .

ما قبله عليه [١] أى أن المولى عز وجل ذكر عدة اللائى يئسن من المحيض ثم عطف عليها كذلك اللائى لم يحضن فالحكم فى الحالتين واحد .. والله أعلم ..

وقوله تعالى : " وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن " أى الحوامل إن طلقن أو مات عنهن أزواجهن فعدتهن أن يضعن حملهن (فمتى ولدت ما فى بطنها من جنين فقد انقضت عدتها ولو وضعته قبل استكمال التسعة أشهر ، إن لم تتعمد اسقاطه بالاجهاض) [٢] .

وقوله تعالى : " ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا " اليسر هو غاية ما يرجوه الانسان وخاصة اذا كان من المولى عز وجل فهو نعمة كبرى من المولى عز وجل فلا مشقة ولا عسر فمن يجعل بينه وبين الله وقايه فلا يخالفه فيما أمر من الأحكام المتعلقه بالطلاق والرجعة والعدة فان المولى عز وجل يعطيه من فضله بأن يجعل أمره يسرا فى جميع الامور .

---

(١) الشوكانى فى فتح القدير ج ٥ ص ٢٤٢ .

(٢) تفسير الجزائرى ج ٢٨ ص ٣٧٧ .

وجاء فى فتح القدير (أى من يتقه فى امتثال أوامره واجتناب نواهيه يسهل عليه أمره فى الدنيا والآخره • وقال الضحاك : من يتق الله فليطلق للسنه يجعل له من أمره يسرا فى الرجعه •

وقال مقاتل : "من يتق الله فى اجتناب معاصيه يجعل لـــه من أمره يسرا فى توفيقه للطاعه "[1].

الشرح الاجمالى للآيـة :

فى هذه الآية الكريمه حدد المولى عز وجل عدة اللواتـــى انقطع حيضهن واللاتى لم يحضن بعد وهى ثلاثة أشهر وكذلك بينت عدة الحامل وهى بمجرد وضع الحمل وسواء كان ذلك بسبـــب الطلاق أو موت الزوج •

ثم خاطب المولى عز وجل المؤمنين مبينا لهم أن تقواهم وعـــدم مخالفتهم لأوامره يكون جزاؤه فضل من الله ويسرا •

فما أجمل اليسر فى كل الأمور وما أضمنـــه أن يكون فضل مـــن الله ورضوان •

والله أعلم •

---

(١) تفسير الشوكانى جـ ٥ ص ٢٤٢ •

الآيـة الخامسـة

قال تعالى : " ذلك أمر الله انزله اليكم ومن يتق الله يكفر عنـه سيئاته ويعظم له أجرا " (١) .

المعانى اللغويـة :

ذلك أمر الله : أى حكمه وشرعه

أنزله اليكـم : أى أنزله فى كتابه على رسوله

يتـق اللـه : أى يجعل بينه وبين عذاب الله وقاية بـترك مالا يرضاه .

يكفر عنه سيئاته : أى يغفر له ذنوبه

ويعظم له أجرا : أى يعطيه من الأجر فى الآخره أجراً عظيما وهـو الجنه .

الشرح التحليلى للايـة :

قال تعالى : " ذلك امر الله انزله اليكم " أى ذلك المذكور من الأحكام فى هذه السوره من الطلاق والرجعة والعدة وتفاصيلها

---

(١) الايه ٥ من سورة الطلاق .

حكم الله أنزله اليكم لتاتمروا وتعملوا به ، فاعملوا به ولا تهملوه طاعة لله وخوفا من عذابه (١) .

وقال تعالى : " ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا "

جاء فى الشوكانى أنه من يتق الله ويترك مالا يرضاه يكفر عنه المولى عز وجل سيئاته التى اقترفها لان التقوى من أسباب المغفرة للذنوب ويعظم له أجرا فى الآخره وهو الجنه (٢) .

الشرح الإجمالى للآية :

بين المولى عز وجل فى هذه الآية أن الأحكام التى ذكرت فى الآية هو حكمه وشرعه الذى أمر به المولى عز وجل ليعملوا به ويأتمروا به وأن من يتق الله ويبتعد عما لا يرضاه يكفر عنه المولى عز وجل سيئاته ويدخل الجنة .

---

(١) تفسير الجزائرى جـ ٢٨ ص ٣٧٧ .

(٢) تفسير فتح القدير جـ ٥ ص ٢٤٢ .

الآيـة السادسة :

قال تعالى : " أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضارهـن لتضيقوا عليهن وان كن أولات حمل فانفقوا عليهـن حتى يضعـن حملهن فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن وأتمروا بينكم بمعروف وإن تعاسرتم فسترضع لـه أخرى " (١) .

المعانى اللغوية :

من حيث سكنتم : أى عندكم

مـن وجدكـم : الوجد هو القدرة يعنى من سعتكم وطاقتكم

ولا تضارهـم : لا تضيقوا عليهن

أولات حمـل : ذوات وأصحاب حمل (حوامل) .

وأتمروا بينكـم : تشاوروا واتفقوا

بمعـروف : بما هو غير منكر ومن غير إضرار ولا مضارة

تعاسرتـم : اختلفتم

---

(١) الاية رقم (٦) من سورة الطلاق .

الشرح التحليلى للآية :

قال الإمام سيد قطب أن هذه الآية (هى البيان الأخير لتفصيل مسألة الإقامة فى البيوت ، والإنفاق فى فترة العدة على اختلاف مدتها) (١) .

قال تعالى : " اسكنوهن من حيث سكنتم " هذا الكلام يبين ما يجب للنساء من السكنى .

فيقول المولى عز وجل آمرا عباده اذا طلق الرجل إمرأته فلابد أن يسكنها فى فترة العدة عنده ، أى اسكنوهن بعض مكان سكناكم لأن " من " هنا تبعيضيه .

وقوله : " من وجدكم " قال ابن عباس : يعنى سعتكم وقال قتادة : إن لم تجد الا جنب بيتك فاسكنها فيه . وجاء فى تفسير ابى السعود فى قوله " من وجدكم " أى من وسعكم أى مما تطيقونه وقال أنها عطف بيان لقوله من حيث سكنتم وتفسيرا له " (٢) .

---

(١) فى ظلال القرآن لسيد قطب جـ٦ ص ٣٦٠٣ .

(٢) تفسير أبى السعود م ٥ جـ ٥ ص ٧٣٥ بتصرف .

أى اسكنوهن مما تجدون لا أقل مما أنتم عليه فى سكناكم ، وما تستطيعونه حسب مقدرتكم وغناكم .

وقال تعالى : " ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن "

قال مقاتل وابن حيان : يعنى يضاجرها لتفتدى منه بمالها أو تخرج من مسكنه .

وقال الثورى : يطلقها فاذا بقى يومان راجعها .

وقال أبو السعود : " ولا تضارهن " يعنى فى السكنى لتضيقوا عليهن وتلجئوهن الى الخروج (١) .

وهنا نهى المولى عز وجل عن مضارة النساء المعتدات بالتضييق عليهن فى المسكن والنفقة .

(وقد اختلف أهل العلم فى المطلقة ثلاثا ، هل لها سكنى ونفقة أم لا ؟ فذهب مالك والشافعى أن لها السكنى ولا نفقة لها وذهب أبو حنيفة وأصحابه أن لها السكنى والنفقة وذهب احمد واسحاق وأبو ثور أنه لا نفقة لها ولا سكنى ، وهذا هو الحق) (١) .

قال تعالى : " وان كن أولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن

---

(١) فتح القدير جـ ٥ ص ٢٤٥ .

حملهن فان أرضعن لكم فأتوهن اجورهن وأتمروا بينكم بمعروف وان تعاسرتم فسترضع له أخرى " ٠

" وان كن أولات حمل " يعنى ان كانت المطلقه صاحبة حمل (وهنا خص المولى عز وجل ذوات الأحمال بذكر النفقه مع وجوب النفقه لكل معتدة لتوهم أن طول مدة الحمل يحدد زمن الانفاق ببعضه أو بزيادة عنه اذا قصرت مدته ٠ فأوجب النفقة حتى الوضع وهو موعد انتهاء العدة لزيادة الايضاح التشريعى) [١] .

وقال الامام الشوكانى (وان كن أولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن) أى الى غاية هى وضعهن الحمل ولا خلاف بين العلماء فى وجوب النفقة والسكنى للحامل المطلقة ، فأما الحامل المتوفى عنها زوجها فقال على وابن عمر وابن مسعود وشريح والنخعى والشعبى وحماد وابن ابى ليلى وسفيان واصحابة: ينفق عليها من جميع المال حتى تضع ٠ وقال ابن عباس وابن الزبير وجابر بن عبد الله ومالك والشافعى وأبو حنيفة وأصحابه : لا ينفق عليها الا من نصيبها ٠ وهذا هو الحق للادلة الواردة فى ذلك من السنة) [٢] .

---

(١) فى ظلال القرآن لسيد قطب م ٦ ص ٣٦٠٣ باختصار ٠
(٢) تفسير فتح القدير للشوكانى جـ٥ ص ٢٤٥ ٠

وقوله تعالى : " فان أرضعن لكم " أى فان أرضعن لكم أولادكم بعد وضع الحمل وهن طوالق .

" فآتوهن أجورهن " . أى أجر ارضاع أولادكم والمعنى أن المطلقة اذا أرضعت ولد الزوج المطلق لها منها فلها أجرها على ذلك .

ثم قال المولى عز وجل " وأتمروا بينكم بمعروف وان تعاسرتم فسترضع له أخرى " .

هذا خطاب للازواج والزوجات أمرهم فيه المولى عز وجل أن يتشاورا فى أمر الوليد ورائدها مصلحته وهو أمانة بينهما فلا يكون فشلهما فى حياتهما نكبة على الصغير البرئ .

أى تشاورا بينكم بما هو معروف غير منكر عندهم . قال مقاتل : المعنى ليتراضى الأب والأم على أجر مسمى ، قيل والمعروف الجميل من الزوج أن يوفر لها الأجر ، والمعروف الجميل منها أن لا تطلب ما يتعاسره الزوج من الأجر .

هذه هى المياسره التى يدعوهما الله اليها .

" وان تعاسرتم " أى فى أجر الرضاع فأبى الزوج أن يعطى الأم الأجر وأبت الأم أن ترضعه إلا بما تريد من الأجر ولم يتفقوا فالطفل

مكفول الحقوق " فسترضع له أخرى " أى يستأجر مرضعة أخرى ترضع ولده ولا يجب عليه أن يسلم ما تطلبه الزوجة ، ولا يجوز له أن يكرهها على الإرضاع بما يريد من الاجر .

قال الضحاك : إن أبت الأم أن ترضع استأجر لولده أخرى ، فان لم تقبل أجبرت أمه على الرضاع بالاجر [١] .

الشرح الاجمالى للآيه :

يختم المولى عز وجل حديثه فى مسألة العدة ببيان مسألة الإقامة فى البيوت والانفاق فى فترة العدة على اختلاف مدتها . فأمر المولى عز وجل الأزواج ان يسكنوهن فى سكناهم لا أقل مما هم عليه بل حسب مقدرتهم غير عامدين مضارتهن سواء بالتضييق عليهن فى فسحة المسكن أو مستواه أو فى المعاملة .

ثم خص بالذكر ذوات الحمل فى النفقه حتى لا يتوهم البعض أن طول مدة الحمل تؤثر فى الانفاق بل يبين أن النفقة واجبة عليهن حتى الوضع وهو موعد انتهاء العدة .

---

(١) انظر فتح القدير للشوكانى جـ٥ ص ٢٤٥ ، فى ظلال القرآن لسيد قطب م ٦ ص ٣٦٠٢ .

ثم انتقل المولى عز وجل بذكر الأزواج والزوجات بحق الطفل
فالطفل مكفول الرعايه والحقوق وقد هيأ له المولى عز وجل مصدر غذائه
وبين للأزواج والزوجات أن ما بينهما من خلاف لا يكون عائقا لمراعاة أمانة
الله بينهما وهو الطفل فبين أن على الأم ارضاع طفلها مقابل أجر يتفقا
عليه الزوج والزوجه ولابد أن يراعى الإثنان مصلحة وليدهما فيتشاورا
ويتفقا على الأجر ، فان لم يتفقا فعلى الأب أن يأجر مرضعة لولده ، وان
ما بينهما من خلاف لا يكون سببا فى تعطيل حق الطفل فى الرضاعة .

والله أعلم .

الآيــة السابعة :

قال تعالى : " لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا "(١)

المعانى اللغوية :

السعة : الغنى .

قدر : ضيق .

مما آتاه : مما أعطاه ورزقه .

عسر : نقيض اليسر وهو الضيق .

يسر : سهل .

الشرح التحليلى للآية :

قال تعالى : " لينفق ذو سعة من سعته " أمر تعالى المؤمن اذا اطلق أن ينفق على مطلقته التى ترضع له ولده أو التى هى فى عدتها فى بيته بحسب يساره واعساره أو غناه وافتقاره إذ لا يكلف الله نفسا إلا ما أعطاها من قدره أو غنى وطول ، والقاضى هو الذى يقدر النفقة عند المشاحة وتكون بحسب دخل الرجل وما يملك من مال .

قال الامام الشوكانى (فيه الأمر لاهل السعة بأن يوسعوا على

---

(١) الآية رقم (٧) من سورة الطلاق .

المرضعات من نسائهم على قدر سعتهم) وقال الامام ابوالسعود مثله) (١) .

قال تعالى : " ومن قدر عليه رزقه " أى أن رزقه كان ضيق بمقدار القوت ليس بموسع (٢) .

قال تعالى : " فلينفق مما آتاه الله " أى مما اعطاه الله من الرزق ليس عليه غير ذلك .

قال الامام الالوسى : (المراد لينفق كل واحد من الموسر والمعسر مايبلغه وسعه ، والظاهر أن المأمور بالانفاق الأباء ، ومن هنا قال ابن العربى : هذه الآية أصل فى وجوب النفقة على الأب . وخالف فى ذلك محمد ابن المواز فقال : أن التقدير شرعنا ذلك لينفق) (٣) .

قال تعالى : " لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها " أى ما أعطاها من الرزق ، فلا يكلف الفقير بأن ينفق ماليس فى وسعه ، بل عليه مايقدر عليه وتبلغ اليه طاقته مما أعطاه الله من الرزق قال الإمام ابوالسعود : (جل أوقل فانه تعالى لا يكلف نفسا إلا وسعها وفيه تطييب لقلب المعسر وترغيب له فى بذل مجهوده ، وقد أكد ذلك بالوعد حيث قيل وسيجعل الله بعد عسر

---

(١) تفسير فتح القدير حـ ٥ ص ٢٤٥ ، وابوالسعود حـ ٥ ص ٧٣٥ .

(٢) الشوكانى حـ ٥ ص ٢٤٥ ، الالوسى حـ ٨ ص ١٤٠ .

(٣) الالوسى حـ ٢٨ ص ١٤٠ .

يسرا ") (١) .

وذكر فى تفسيرالامام الالوسى رحمة الله عليه : (الا بقدر ما أعطاهــا من الطاقة وقيل : ما أعطاها من الارزاق قل أو جل ، وفيه أيضا من تطييــب واستمالة لقلب المعسر لمكان عبارة و (آتاها) الخاصة بالاعسار قبل وذكـــر العسر بعد .

واستدل بالآية من قال لا فسخ بالعجز عن الانفاق على الزوجة ، وهو ماذهب اليه عمر بن عبد العزيز وأبو حنيفة وجماعة وعن أبى هريرة والحسن وابن المسيب ومالك والشافعى واحمد واسحق بفسخ النكاح بالعجز عن الانفـــاق ويفرق بين الزوجين ، وفيها على ماقال السيوطى : استحباب مراعاة الانســان حال نفسه فى النفقة والصدقة ، ففى الحديث " ان المؤمن اخذ عن اللـــه تعالى أدبا حسنا اذا هو سبحانه وسع عليه وسع واذا هو عز وجل قتر عليـــه قتر " (٢)) (٣) .

قال تعالى : " سيجعل الله بعد عسر يسرا " . قال الامام الجزائـرى هذا وعد صدق أتمه لاصحاب رسوله حيث كانوا فى عسر ففتح الله عليهم ملـك

---

(١) ابوالسعود حـ ٥ ص ٧٣٥ .

(٢) الدر المنثور حـ ٦ ص ٢٣٧ ط دار المعرفه بيروت .

(٣) الالوسى حـ ٢٨ ص ١٤٠ .

كسرى والروم فأبدل عسرهم يسرا وأما غيرهم فمشروط بالشرط) [١] وهو قوله تعالى : " ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا "

والمعنى ان المولى عز وجل سيجعل للمعسر بعد الضيق سعة وغنى عاجلا أو آجلا .

ويقول الامام الالوسى فى هذا : (وهذا موعد للفقراء ذلك الوقت بفتح أبواب الرزق عليهم ، أو لفقراء الازواج ان أنفقوا ما قدروا عليه ولم يقصروا ، وهو على الوجهين تذييل إلا أنه على الأول مستقل ، وعلى الثانى غير مستقل) [٢] .

---

(١) الجزائرى م ٥ حـ ٢٨ ص ٣٨٠ .

(٢) تفسير الالوسى حـ ٢٨ ص ١٤٠ .

الآية : الثامنة ،التاسعة ، العاشرة والحادية عشر :

قال تعالى : " وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا • فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا • أعد الله لهم عذابا شديدا فاتقوا الله يا أولى الالباب الذين آمنوا قد أنزل الله اليكم ذكرا • رسولا يتلوا عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا ندخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا قد أحسن الله له رزقا " (١)

المعانى اللغوية :

وكأين : وكثير •

قرية : مدينة •

عتت : عصت وتمردت واستكبرت وطغت •

نكرا : فظيعا ومنكرا •

وبال أمرها : عاقبة عتوها •

أعد : هيأ •

ذكرا : القرآن الكريم •

رسولا : محمد صلى الله عليه وسلم •

---

(١) الايات رقم ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ من سورة الطلاق •

من الظلمات الى النور : من ظلمات الكفر والشرك الى نور الايمان والتوحيد ٠

قد أحسن الله له رزقا : أى رزق الجنة الذى لا ينقطع ٠

مناسبة الايات لما قبلها :

لما ذكر سبحانه وتعالى ماتقدم من أحكام الطلاق والرجعة والعدة والنفقات وأمر الارضاع وأوجب العمل بها وحذر من مخالفتها واهمالها وتجاهلها وعدم القيام بها ذكر عتو قوم خالفوا أوامره فحل بهم عذابه فقال : (وكأين من قرية ٠٠٠) الاية ٠ ليكونوا عبرة للذين عتوا عن أمر الله ورسله ، وعلق هذه العبرة على الرؤوس تذكرهم بالمصير البائس الذى ينتظر من لايتقى ولا يطيع كما نذكرهم بنعمة الله على المؤمنين المخاطبين بالسوره والتشريع ٠

الشرح التحليلى للايات :

قال تعالى : " وكأين من قرية " أى كثير من أهل بلدة [1] ٠ وقرأ ابن كثير ــ وكائن ــ بالمد والهمزة ٠ والمراد أهل القرية ٠

(جاء فى تفسير الجلالين أن (كأين) الكاف كاف الجر دخلت على أى بمعنى كم و (من قرية) أى وكثير من القرى) [2] .

---

(١) تفسير الالوسى حـ ٢٨ ص ١٤٠ ، المراغى حـ ٢٨ ص ١٤٩ ، تفسير ابو السعود حـ ٥ ص ٧٣٥ ٠

(٢) تفسير الجلالين ص ٤٧٥ ٠

قال تعالى : (عتت عن أمر ربها ورسله) (طغوا عن أمر ربهم وخالفوه وعن أمر رسل ربهم ، فتمادوا فى طغيانهم وعتوهم ، ولجوا فى كفرهم)(١) .

وقال الإمام الألوسى (عتت) تجبرت وتكبرت معرضة (عن أمر ربها ورسله) فلم تمتثل ذلك(٢) .

وقال الامام ابوالسعود قوله تعالى : (عن أمر ربها ورسله) بالعتو والتمرد والعناد (٣) .

قال تعالى : (فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا) أى شددنا على أهلها فى الحساب بما عملوا . قال مقاتل : حاسبها الله بعملها فى الدنيا فجازاها بالعذاب ، وهو معنى قوله (وعذبناها عذابا نكرا) أى عذبنا أهلها عذابا عظيما منكرا فى الآخره ، وقيل فى الكلام تقديم وتأخير : أى عذبنا أهلها عذابا نكرا فى الدنيا بالجوع والقحط والسيف والخسف والمسخ ، وحاسبناهم فى الآخرة حسابا شديدا والنكر المنكر)(٤).

وقال الأمام أبوالسعود قوله تعالى : (فحاسبناها حسابا شديدا)

---

(١) تفسير الطبرى حـ ٢٨ ص ١٥٠ .

(٢) تفسير روح المعانى للامام الالوسى حـ ٢٨ ص ١٤٠ .

(٣) تفسير ابوالسعود حـ ٥ ص ٧٣٥ .

بالاستقصاء والتنقير والمناقشة فى كل نقير وقطمير (وعذبناها عذابا نكرا) أى منكرا عظيما وقرئ نكر او المراد حساب الأخرة وعذابها والتعبير عنهما بلفظ الماضى للدلالة على تحققهما كما فى قوله تعالى " ونادى أصحاب الجنة " (١)) (٢) . وقوله تعالى : " ونفخ فى الصور " (٣) .

قال تعالى : " فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا " أى ستجنى ثمار ماغرست أيديها ولا يجنى من الشر الا الشر كما جاء فى أمثالهم : انك لا تجنى من الشوك العنب ، فكان عاقبة أمرها الخسران والنكال الذى لا يقدر قدره) (٤) .

وقال الامام الشوكانى قوله تعالى " وكان عاقبة أمرها خسرا " أى هلاكا فى الدنيا وعذابا فى الأخرة) (٥) .

(فذاقت وبال أمرها) : فذاقت هذه القرية التى عتت عن أمر ربها ورسله ، عاقبة ما عملت وأتت من معاص الله والكفر به (٦) .

---

(١) سورة الاعراف آية رقم ٤٤ و ٤٦ .

(٢) تفسير ابوالسعود حـ٥ ص ٧٣٥ ، نفس المعنى فى تفسير الالوسى حـ ٢٨ ص ١٤١ .

(٣) سورة يس آية ٥١ ، وسورة الزمر آية ٦٨ .

(٤) تفسير المراغى حـ ٢٨ ص ١٤٩ .

(٥) فتح القدير للامام الشوكانى حـ ٥ ص ٢٤٦ .

(٦) الطبرى حـ ٢٨ ص ١٥١ .

قال تعالى : " أعد الله لهم عذابا شديدا " أى هيأ لهم العذاب المرتقب لتماديهم فى طغيانهم واعراضهم عن اتباع الرسل فيما جاءوا به من عند ربهم .

وقال الامام الشوكانى : " أعد الله لهم عذابا شديدا فى الاخره ، وهو عذاب النار . والتكرير للتأكيد (١) . تكرير للوعيد وبيان لكونه مترقبا كأنه قيل أعد الله لهم هذا العذاب وذكر الإمام الألوسى فى روح المعانى :

(والظاهر أن قوله تعالى : (أعد) الخ عليه تكرير للوعيد أيضا ، وجوز أن يراد بالحساب الشديد استقصاء ذنوبهم واثباتها فى صحائف الحفظة ، وبالعذاب النكر ما أصابهم عاجلا ، وتجعل جملة (عتت) الخ صفة لقرية ، والماضى فى (فحاسبناها . وعذبناها) على الحقيقة ، وخبر (كأين) جملة (أعد الله) الخ ، أو تجعل جملة (عتت) الخ هى الخبر ، وجملة (أعد الله) الخ استئناف لبيان أن عذابهم غير منحصر فيما ذكر بل لهم بعده عذاب شديد) (٢) .

والمعنى أن المولى عز وجل أعد لهؤلاء القوم الذين عصوا عن أمر الله ورسله عذاب شديدا ، وذلك عذاب النار الذى أعده لهم فى القيامة .

---

(١) فتح القدير حـ ٥ ص ٢٤٦ .

(٢) تفسير الامام الالوسى حـ ٢٨ ص ١٤١ .

وقال الإمام سيد قطب رحمة الله عليه : في قوله تعالى : (وكأين من قرية ...) تفصيل أخذها وذكر الحساب العسير والعذاب النكير ، ثم تصوير العاقبة وسوء المصير . (فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا) ثم يؤخر العاقبة الخاسرة في الاية التالية : (أعد الله لهم عذابا شديدا) كل هذا لاطالة المشهد وتفصيل خطواته ومراحله . وهي طريقه من طرق الأسلوب القرآني في تعميق الأثر في الحس واطالة مكثه في الأعصاب .

ونقف لحظة أمام هذا التحذير فنرى أن الله أخذ القرى واحدة بعد واحدة كلما عتت عن أمر ربها ورسله . ونجد أن هذا التحذير يساق هنا بمناسبة الطلاق وأحكامه ، فيرتبط الطلاق وحكمه بهذه السنة الكلية . ويوحي هذا الارتباط أن أمر الطلاق ليس أمرا سرا وأزواج انما هو أمر الأمة المسلمة كلها . فهي المسئولة عن هذا الامر وهي المسئولة فيه عن شريعة الله . ومخالفتها عن أمر الله فيه ــ ومخالفتها عن أمر الله في غيره من أحكام هذا النظام او هذا المنهج الإلهي المتكامل للحياه ــ هي عتو عن أمر الله ، لا يؤاخذ به الافراد الذين يرتكبونه انما تؤاخذ به القرية او الأمة التي تقع فيها المخالفة والتي تنحرف في تنظيم حياتها عن منهج الله وأمره فقد جاء هذا الدين ليطاع ، ولينفذ كله وليهيمن على الحياة كلها . فمن عتا عن أمر الله فيه ــ ولو كان هذا في أحوال الافراد الشخصية ــ فقد تعرض لما تعرضت له القرى من سنة الله التي لا تتخلف أبدا .

وتلك القرى ذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا .. ذاقته في هذه الأرض قبل يوم الحساب الاخير . ولقد ذاقت هذا الوبال قرى وأمم وشعوب عتت عن منهج الله في الأرض . ونحن نشهد وأسلافنا شهدوا هذا الوبال . ذاقته فسادا وانحلالا ، وفقرا وقحطا وظلما وجورا ، وحياة مفزعة لا أمن فيها ولا سلام ولا طمأنينه فيها ولا استقرار . وفي كل يوم نرى مصداق هذا النذير) (١) .

قال تعالى : " فاتقوا الله يا أولى الألباب الذين آمنوا قد أنزل الله اليكم ذكرا . رسولا " .

" يا أولى الالباب " أى أصحاب العقول السليمة الراجحة . يخاطب المولى عز وجل أصحاب العقول الراجحة منبها لهم : الى تقوى الله حتى لا يصيبهم مثل ما أصاب من قبلهم قائلا لهم خافوا أيها المؤمنون عقاب الله فأنتم أصحاب العقول الراجحة ، والفطرة السليمة واحذروا أن يحل بكم مثل ما حل بمن قبلكم من الأمم .

وقد جاء في تفسير الطبرى : (يقول تعالى ذكره : أعد الله لهؤلاء القوم الذين عتوا عن أمر ربهم ورسله عذابا شديدا ، وذلك عذاب النار الذى

---

(١) سيد قطب في تفسير في ظلال القرآن م ٦ ص ٣٦٠٥ .

أعده لهم فى القيامة (فاتقوا الله يا أولى الالباب) يقول تعالى ذكره : فخافوا الله ، واحذروا سخطه بأداء فرائضه واجتناب معاصية يا أولى العقول) [١] .

قال الامام الألوسى : وقوله تعالى : " الذين امنوا " منصوب بلضمار أعنى بيانا للمنادى السابق أو نعت له أو عطف بيان ، وفى ابداله منه ضعف لعدم صحة حلوله محله .

" قد أنزل الله اليكم ذكرا " هو النبى صلى الله عليه وسلم عبر به عنه لمواظبته عليه الصلاة والسلام على تلاوة القرآن الذى هو ذكر ، أو تبليغه والتذكير به ، وقوله تعالى : " رسولا " بدلا منه ، وعبر عن ارساله بالانزال ترشيحا للمجاز ، أو لأن الارسال مسبب عنه فيكون " أنزل " مجازا مرسلا ، وقال أبو حيان : الظاهر أن الذكر هو القرآن والرسول هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فاما أن يجعل نفس الذكر مجازا أو يكون بدلا على حذف مضاف اى ذكر رسول ، وقيل : هو نعت على حذف ذلك أى ذا رسول ، وقيل المضاف محذوف من الأول أى ذا ذكر (رسولا) فيكون (رسولا) نعتا لذلك المحذوف أو بدلا ، وقيل : (رسولا) منصوب بمقدر مثل أرسل رسولا دل عليه أنزل .ونحا الى هذا السدى ، واختاره ابن عطية ، وقال الزجاج ،

---

(١) تفسير الامام الطبرى حـ ٢٨ ص ١٥١ .

وأبو علي : يجوز أن يكون معمولا للمصدر الذي هو ذكر كما في قوله تعالى :
(أو اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما) [١] ، وقول الشاعر :

يضرب بالسيوف رؤس قوم ∴ أزلنا هامهن عن المقيـــل

أي (أنزل الله) تعالى ذكره (رسولا) على معنى أنزل الله عز وجل مايدل
على كرامته عنده وزلفاه ، ويراد به على ماقيل : القرآن وفيه تعسف ومثله جعل
(رسولا) بدلا منه على أنه بمعنى الرسالة ، وقال الكلبي : الرسول ههنـــا
جبريل عليه السلام ، وجعل بدلا أيضا من (ذكرا) واطلاق الذكر عليه لكثرة
ذكره فهو من الوصف بالمصدر مبالغة ــ كرجل عدل ــ أو لنزوله بالذكر وهـــو
القرآن ، فبينهما ملابسة نحو الحلول ، أو لأنه عليه السلام مذكور فــــي
السموات وفي الأمم ، فالمصدر بمعنى المفعول كما في درهم ضرب الأمير ، وقد
يفسر الذكر حينئذ بالشرف كما في قوله تعالى : (وانه لذكر لك ولقومك) [٢]
فيكون كأنه في نفسه شرف أما لأنه شرف للمنزل عليه ، واما لانه ذو مجد وشرف
عند الله عز وجل كقوله تعالى : (عند ذي العرش مكين) [٣] .

وفي الكشف اذا أريد بالذكر القرآن وبالرسول جبريل عليه السلام يكون
البدل بدل اشتمال ، واذا أريد بالذكر الشرف وغيره يكون من بدل الكـــل

---

(١) سورة البلد آية ١٤ .
(٢) سورة الزخرف آية ٤٤ .
(٣) سورة التكوير آية ٢٠ .

فتدبر . وقرئ رسول على اضمار هو) (١) .

وبعد أن ذكر الامام الطبرى اختلافات أهل التأويل فى معنى الذكر والرسول قال : (فتاويل الكلام اذن : قد أنزل الله اليكم يا أولى الالباب ذكرا من الله لكم يذكركم به ، وينبهكم على حظكم من الايمان بالله ، والعمل بطاعته ، رسولا يتلو عليكم آيات الله التى أنزلها عليه) (٢) .

قال تعالى : " يتلو عليكم آيات الله مبينات " .

قال الامام الشوكانى : أى حال كونها مبينات ، قرأ الجمهور "مبينات" على صيغة اسم المفعول : أى بينها الله وأوضحها ، وقرأ ابن عامر وحفص وحمزة والكسائى على صيغة اسم الفاعل : أى الآيات تبين للناس مايحتاجون اليه من الاحكام . ورجح القراءة الأولى أبو حاتم وأبو عبيد لقوله " قد بينا لكم الآيات") (٣) .

والمعنى أن المولى عز وجل أنزل الى اصحاب العقول الراجحة القرآن الكريم يذكرهم به . وأرسل إليهم رسولا يتلو عليهم آيات هذا الكتاب الذى أنزل عليه .

---

(١) تفسير الامام الالوسى حـ ٢٨ ص ١٤١ ، ١٤٢ .

(٢) تفسير الامام الطبرى حـ ٢٨ ص ١٥٢ .

(٣) فتح القدير للامام الشوكانى حـ ٥ ص ٢٤٧ .

قال تعالى : " ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور " .

" ليخرج " اللام متعلقة بيتلوا : أى ليخرج الرسول الذى يتلو الآيات الذين آمنوا وعملوا الصالحات من ظلمات الضلالة الى نور الهداية ، ويجوز أن تتعلق اللام بأنزل ، فيكون المخرج هو الله سبحانه . والمعنى أن المولى عز وجل ارسل الرسول عليه الصلاة والسلام ليتلوا على الناس ما أنزل اليه من الآيات الواضحات كى يخرج من فى قلبه هدى من ظلمات الكفر الى نور الايمان .

جاء فى تفسير ابوالسعود قوله (والموصول عبارة عن المؤمنين بعد انزاله اى ليحصل لهم الرسول أو الله عز وعلا ماهم عليه الآن من الايمان والعمل الصالح أو ليخرج من عمل أو قدر أنه سيؤمن من الضلالة الى الهدى) (١) .

قال تعالى : " ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا ندخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا قد أحسن الله له رزقا " (٢) .

---

(١) تفسير ابوالسعود حـ ٥ ص ٧٣٦ .

(٢) قوله تعالى : (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا ...) ذكر فى كتاب دفع ايهام الاضطراب عن آيات الكتاب . انه أفرد الضمير فى هذه

—

هنا بين المولى عز وجل جزاء الإيمان والعمل الصالح . أى ومن يصدق بالله وعظيم قدرته ، وبديع حكمته ويعمل بطاعته ـ يدخل بساتين تجرى من تحت اشجارها الانهار ماكثين فيها أبدا لا يموتون ولا يخرجون منها ، وقد وسع الله لهم فيها الارزاق من مطاعم ومشارب مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) (١) .

قال الإمام الألوسى فى تفسير قوله تعالى : " ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا " حسبما بين فى تضاعيف ما أنزل من الآيات المبينات .

وقوله (يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار) وقرأ نافع وابن عامر ـ ندخله ـ بنون العظمة وقوله تعالى : " خالدين فيها أبدا " حال من مفعول (يدخله) والجمع باعتبار معنى من كما أن الافراد فى الضمائر الثلاثة باعتبار لفظها ، وقوله تعالى : (قد أحسن الله له رزقا) حال أخرى منه

= الاية فى قوله : (يؤمن) وقوله (يعمل) وقوله (يدخله) وقوله (له) وجمع فى قوله (خالدين) .
والجواب : أن الافراد باعتبار لفظ من والجمع باعتبار معناها وهو كثير فى القرآن العظيم ، وفى هذه الاية الكريمة رد على من زعم أن مراعاة المعنى لاتجوز بعدها مراعاة اللفظ لانه فى هذه الاية راعى المعنى فى قوله (خالدين) ثم راعى اللفظ فى قوله : " قد أحسن الله له رزقا " ص ٢٩٧ .

(١) تفسير المراغى حـ ٢٨ ص ١٥٠ .

أو من الضمير فى (خالدين) بطريق التداخل ، وافراد ضمير (له) باعتبار اللفظ أيضا ، وفيه معنى التعجيب والتعظيم لما رزقه الله تعالى المؤمنين من الثواب والألم يكن فى الاخبار بما ذكر ههنا كثير فائدة كما لا يخفى .

واستدل اكثر النحويين بهذه الآية على جواز مراعاة اللفظ أولا . ثم مراعات المعنى . ثم مراعات اللفظ ، وزعم بعضهم أن مافيها ليس كما ذكر لان الضمير فى (خالدين) ليس عائدا على من كالضمائر قبل ، وانما هو عائد على مفعول ــ يدخل ــ و (خالدين) حال منه ، والعامل فيها ــ يدخل ــ لا فعل الشرط وهو كما ترى) (١) .

والمعنى ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا أى يجمع بين التصديق به وبما جاء به رسوله ويعمل بما فرضه الله عليه مع اجتناب مانهى عنه يدخله المولى عز وجل جنات فيها بساتين وتجرى من تحتها الأنهار أو من تحت أشجارها الأنهار لا يموتون أبدا دائمون الاقامة فيها لا يخرجون منها وقد وسع المولى عز وجل لهم فيها الأرزاق وسائر ما أعده المولى عز وجل لاولياءه الصالحين فأنعم به من وعد كريم من رب رحيم .

---

(١) روح المعانى للالوسى حـ ٢٨ ص ١٤٢ .

الآية الثانية عشر :

قال تعالى : " الله الذى خلق سبع سماوات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن ليتعلموا أن الله على كل شئ قدير وأن الله قد أحاط بكل شئ علما " (١) .

المعانى اللغوية للآية :

ومن الأرض مثلهن : أى سبع أرضين مثل السماوات .

يتنزل الامر بينهن : أى الوحى ينزل بين السماوات والارض .

الشرح التحليلى للآية :

بعد أن أنذر المولى عز وجل من عدم اتباع أوامر الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه سيحل بهم مثل ما أحل بسائر الامم قبلهم ممن كذبوا رسلهم وظلموا وتمردوا وفسقوا عن طاعة ربهم وأمر رسولهم فحق عليهم العذاب وخسروا الدنيا والآخرة ـ ذكر هنا عظيم قدرته وعظمته سلطانه ، وبديع صنعه للعالم السماوى العلوى والعالم السفلى ليكون ذلك باعثا على التأمل والتفكر ودافعا الى استجابة دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم والعمل بما جاء به من تشريع وارشاد وتوجيه .

قوله تعالى : " الله الذى خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن " قال

---

(١) الاية ١٢ من سورة الطلاق .

الشوكانى : (واختلف فى كيفية طبقات الارض : قال القرطبى فى تفسيره (١) واختلف فيهن على قولين : أحدهما وهو قول الجمهور انها سبع أرضين طباقا بعضها فوق بعض ، بين كل أرض وأرض مسافة كما بين السماء والارض ، وفى كل أرض سكان من خلق الله . وقال الضحاك : انها مطبقة بعضها على بعض من غير فتون بخلاف السماوات والأول أصح ، لان الاخبار دالة عليه فى الترمذى والنسائى (٢) وغيرهما .

وقد ثبت فى الصحيح قوله صلى الله عليه وسلم : من ظلم قيد شبر طوقه من سبع أرضين " (٣) .

فان قيل فهل يدل التنصيص على سبع سموات أى فقط ؟ قلنا : الحق أن تخصيص العدد بالذكر لا يدل على نفى الزائد والله أعلم .

وقال الامام الشوكانى فى تفسير قوله تعالى : " هو الذى خلق لكم مافى الأرض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سماوات وهو بكل شئ عليم " (٤) معنى قوله (سواهن) سوى سطوحهن بالافلاس ، وقيل : جعلهن سواء .

---

(١) تفسير القرطبى حـ ١٨ ص ١٧٤ ، ١٧٥ .

(٢) اخرجه الترمذى فى صحيحه كتاب الديات باب ماجاء فيمن قتل دون ماله فهو شهيد حـ ٤ ص ٢٨ ، ٢٩ .

(٣) صحيح الامام البخارى حـ ٤ باب ماجاء فى سبع أرضين ص ١٣٠ .

(٤) الاية رقم ٢٩ من سورة البقرة .

ثم قال معلقا على كلام الفخر الرازى السابق : وفى هذا اشارة الى ماذكره الحكماء من الزيادة على السبع . ونحن نقول : انه لم يأتنا عن الله ولا عن رسوله الا السبع فنقتصر على ذلك ولا نعمل بالزيادة إلا اذا جاءت من طريق الشرع ولم يأت شئ من ذلك ، وانما أثبت لنفسه سبحانه أنه بكل شئ عليم ، لانه يجب أن يكون عالما بجميع ماثبت أنه خالقه) (١) .

وجاء فى تفسير المراغى (أى الله هو الذى خلق السماوات السبع وخلق مثلهن فى العدد من الأرضين .

وهذا الأسلوب فى اللغة لا يفيد الانحصار فى السبعة ، وانما يفيد الكثرة فالعرب تعنى فى كلامها بذكر السبعة والسبعين والسبعمائه الكثرة فحسب ، ويؤيد هذا أن علماء الفلك فى العصر الحاضر قالوا : إن أقل عدد ممكن من الأرضين الدائرة حول الشموس العظيمة التى نسميها نجوما لايقل عن ثلثمائه مليون أرض ، ولا شك ان هذا قول هو بالظن أشبه منه باليقين .

روى ابن مسعود أن النبى صلى اللهعليه وسلم قال " ما السماوات السبع وما فيهن ومابينهن ، والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن فى الكرسى الا كحلقة ملقاة بأرض فلاة " .

---

(١) فتح القدير للشوكانى حـ ١ ص ٦١ .

وروى عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله تعالى : " سبع سماوات ومن الأرض مثلهن " الآية قوله : لو حدثتكم بتفسيرها لكفرتم بتكذيبكم بها . وهذا من الحبر دليل على أن هناك عوالم كثيرة لايجدر بالعلماء أن يحدثوا عنها العامة ، فان عقولهم تضل فى فهمها ، فلتبق فى صدور العلماء وأهل الذكر حتى لا يفتنوا بها) (١) .

وقوله تعالى : (مثلهن) أن المثلية تقتضى الاشتراك فى بعض الاوصاف فقال الامام الألوسى (قال الجمهور : هى ههنا فى كونها سبعا وكونها طباقا بعضها فوق بعض بين كل أرض وأرض مسافة كما بين السماء والارض وفى كل أرض سكان من خلق الله عز وجل لايعلم حقيقتهم إلا الله تعالى ، وعن ابن عباس أنهم اما ملائكة ، أو جن) (٢) .

قرأ الجمهور (مثلهن) بالنصب عطفا على (سبع سماوات) أو على تقدير فعل : أى وخلق من الأرض مثلهن . وقرأ عاصم فى رواية عنه بالرفع على الابتداء ، والجار والمجرور قبله خبره) (٣) .

---

(١) تفسير المراغى حـ ٢٨ ص ١٥١ ، ١٥٢ .

(٢) روح المعانى للالوسى حـ ٢٨ ص ١٤٢ ، وتفسير الفخر الرازى م ١٥ حـ ٣٠ دار الفكر الطبعة الاولى ١٤٠١ ـ ١٩٨١ .

(٣) فتح القدير حـ ٥ ص ٢٤٧ .

قال تعالى : " يتنزل الأمر بينهن " أى يجرى أمر الله تعالى وقضاؤه وقدره بينهن ، وينفذ حكمه فيهن ، فهو يدبر مافيها وفق علمه الواسع، وحكمته فى اقامة نظمها ، بحسب العدل والمصلحة وقال الإمام الشوكانى : أن الجملة مستأنفة ويجوز أن تكون صفة لما قبلها . والامر الوحى .

قال مجاهد : يتنزل الامر من السماوات السبع الى السبع الارضين . وقال الحسن : بين كل سماء وبين الارض . وقال قتادة : فى كل ارض من أرضه وسماء من سمائه خلق من خلقه وأمر من أمره وقضاء من قضائه وقيل (بينهن) اشارة الى مابين الأرض السفلى التى هى أدناها وبين السماء السابعة التى هى اعلاها ، وقيل هو مايدير فين من عجيب تدبيره ، فينزل المطر ويخرج النبات ويأتى بالليل والنهار والصيف والشتاء ، ويخلق الحيوانات على اختلاف انواعها وهيئاتها فينقلهم من حال الى حال .

قال ابن كيسان : وهذا هو مجال اللغة واتساعها كما يقال للموت : أمر الله وللريح والحساب ونحوها .

قرأ الجمهور " يتنزل الأمر " من التنزل ورفع الامر على الفاعلية . وقرأ أبو عمر وفى رواية عنه (ينزل) من الانزال ونصب الأمر على المفعولية والفاعل الله سبحانه) (١) .

---

(١) الشوكانى حـ٥ ص٢٤٧ ، ٢٤٨ ونفس المعنى فى الالوسى حـ ٢٨ ص ١٤٥ ، ١٤٦ .

قال تعالى : " لتعلموا أن الله على كل شئ قدير " • يخبرنا المولى عز وجل أنه ينزل قضاءه وأمره كى تتعلموا أيها الناس أن المولى عز وجل قادر على كل شئ وأن سلطانه يسيطر على جميع المخلوقات وأنه لا يتعذر على ارادته شئ ولكنه يقول للشئ كن فيكون •

قال الإمام الألوسى : ("لتعلموا أن الله على كل شئ قدير" متعلق - بخلق - أو - بيتنزل - أم بمضمر يعمهما أى فعل ذلك لتعلموا أن من قدر على ماذكر قادر على كل شئ • وقيل : التقدير أخبرتكم أو أعلمتكم بذلك لتعلموا ، وقرئ - ليعلموا - بياء الغيبة) (١) .

قال تعالى : " وأن الله قد أحاط بكل شئ علما " والمعنى أن الله عز وجل محيط بكل المخلوقات ولا يخرج من علمه شئ فى السماوات ولا فى الارض وهو على ذلك قادر وسيحاسب كل بما عمل يوم يجزى كل نفس ماكسبت قال الامام الالوسى : فى قوله تعالى : " وأن الله قد أحاط بكل شئ علما " لاستحالة صدور هذه الافاعيل ممن ليس كذلك) (٢) .

(وانتصاب (علما) على المصدرية ، لأن أحاط بمعنى علم • أو هو صفة لمصدر محذوف : أى أحاط احاطة علما ويجوز أن يكون تمييزا) (٣) .

---

(١) روح المعانى للالوسى جـ ٢٨ ص ١٤٦ •
(٢) المرجع السابق ص ١٤٦ •
(٣) الشوكانى جـ ٥ ص ٢٤٨ •

الخاتمـــة

اشتملت سورة الطلاق على أحكام شرعية ومناهج دينية عظيمة وضعت للمحافظة على حقوق الافراد وتنظيم الحياة الزوجية والحفاظ على حقــوق الاولاد .

فبينت الآيات : أن السنة فى الطلاق أن تكون المرأة فى طهر ليــس فيه جماع ثم قررت الايات وجوب احصاء العدة للمطلقة ليعرف الزوج متى تنقضى العدة لما يترتب على ذلك من أحكام شرعية مثل الرجعة والنفقة والسكنى .
وعلى الزوج أن يبقى مطلقته فى بيته الذى طلقها فيه حتى تنقضى العـدة ويحرم عليه اخراجها منه فترة العدة الا أن ترتكب فاحشة ظاهرة واضحه مثل الزنا أو أن تكون سيئة الخلق فيتأذى من يعيش معها بجوارها ثم بيــن الشارع الحكيم أنه قبل انقضاء العدة الزوج مخير بين أمرين الاول هو ارجـاع الزوجة والثانى : هو المفارقة .

وأكد أن كلا من الارجاع والمفارقة لابد أن يكونا بالمعروف .

ثم بين الشارع الحكيم مشروعية الشهادة على الطلاق والرجعة وأن يكونا الشاهدين موصوفين بالعدالة ، وأن يراعى فى شهادتهما وجه الله .

ثم بين المولى عز وجل وعدة بالفرج لمن يتقيه فى كل شئ ومنه الطـلاق

والرجعة والشهادة ، وأن المولى عز وجل يرزق الانسان من حيث لايحتسب ولا يخطر له على بال وأن الله نافذ أمره وأنه يكفل من يتوكل عليه .

ثم بين المولى عز وجل عدة النساء على اختلاف حالاتهن فالمطلقة التى لاتحيض لكبر سنها أو لصغره ، أو لعلة فعدتها ثلاثة أشهر ، والحامل عدتها وضع الحمل سواء كان بالاولاده أو غيرها .

ويعلم من خلال دراسة الايات أن المتوفى عنها زوجها وكانت غير حامل فعدتها اربعة أشهر وعشرة أيام .

وكذلك المطلقة وتحيض فعدتها ثلاث قروء مع الاختلاف فى المراد بالقرء هل هو الحيض أو الطهر .

ثم بينت الآيات أن أحكام الطلاق والرجعة والعدة مما فرضه الله وبينه للعباد فى كتابة وسنة رسول محمد صلى اللهعليهوسلم فوجب العمل بها . وأن من يتقى الله فى أموره كلها التى منها الاحكام الواردة فى الآيات بيسر المولى عز وجل له أموره ويفتح له أبواب الخير فى الدنيا والآخرة وبينت الآيات وجوب السكنى والنفقة للمطلقة طلاقا رجعيا .

وللمطلقة الحامل حتى تضع حملها ، وكذلك المتوفى عنها زوجها وهى حامل ثم بين المولى عز وجل عدم الاضرار بالزوجة بالتضييق عليها فى السكنى

ومعاملتها معاملة سيئة وغير ذلك •

وحفاظا على حق الاولاد شرع المولى عز وجل للمطلقة طلاقا بائنا ان أرضعت ولدها أجر ارضاعها ويتفق كلا من الزوجين على مقدار الاجر وان تعسر الاتفاق فعلى الزوج ان يحضر مرضع لولده حفاظا عليه ورعاية من المولى عز وجل له •

ثم بين المولى عز وجل قاعدة كلية وهى : أن التكليف حسب القدرة والاستطاعة فلا تكلف نفس الا وسعها •

ويضرب المولى عز وجل مثلا محذرا لمن يعصى ربه ويخالف أمره : بقرية عتت وعصت وتمردت وخرجت عن طاعة الله فكانت عاقبة أمرها الخسران والهلاك فى الدنيا والاخرة •

ثم يذكر البشر بالنعمة الكبرى التى من الله بها عليهم من ضمن نعمة وهى ارسال الرسول صلى الله عليه وسلم ليبين لهم الايات ويخرجهم من ظلمات الكفر الى نور وهداية الايمان •

ثم يبشر المؤمنين الصالحين بأن لهم جنات تجرى من تحتها الانهار ماكثين فيها دوما ناعمين بما فيها •

ثم يذكرهم بنعمة من نعمه وهى خلق السماوات والارض ومافيهن وتنزيل الامر من السماء ليعلموا أن الله على كل شىء قدير وأن علمه واسع عظيم .

فالسورة : مجموعة من المثل العظيمة فى تربية المسلم ، ومايجب أن يتحلى به المؤمن من مبادىء فى حياته مع الاسرة أو مع المجتمع ، وبهـــذا يصبح المجتمع صالحا يسوده الامن والامان فيتحقق له السعادة فى الدارين الدنيا والاخرة .

والله تبارك وتعالى أعلى وأعلـــم .

فهـرس المـراجـع

فهرس المراجع

- المفردات في غريب القرآن - للراغب الأصفهاني - تحقيق محمد سيد كيلاني - دار المعرفة - بيروت .

- أيسر التفاسير للجزائري .

- أسباب النزول لأبي الحسن الواحدي النيسابوري - طبعة دار الفجر الاسلامي - بيروت .

- الجامع لأحكام القرآن - لابي عبد الله محمد ين محمد بن احمد الانصاري القرطبي - دار الكتاب العربي .

- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل - لابي القاسم جار الله الزمخشري - دار الفكر - بيروت .

- التفسير الكبير للامام الرازي فخر الدين بن العلامة ضياء الدين - دار الفكر العربي للطباعة والنشر والتوزيع - الطبعة الاولى ١٤٠١هـ - ١٩٨١م

- الاستعانة بغير المسلمين في الفقه الاسلامي .

- اضواء البيان في ايضاح القرآن - محمد الأمين الشنقيطي - عالم الكتب - بيروت .

- ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم - للشيخ محمد بن محمد العمادي ابو السعود - طبعة دار احياء التراث - بيروت .

- الموطأ للامام مالك — طبعة عيسى الحلبى •
- تفسير المراغى — للشيخ احمد مصطفى المراغى — مطبعة مصطفى البابى الحلبى •
- تفسير القرآن العظيم — لابن كثير — طبعة عيسى البابى الحلبى وشركاة
- تفسير الجلالين للعلامة جلال الدين محمد بن احمد المحلى والعلامة جلال الدين عبد الرحمن بن ابى بكر السيوطى •
- جامع البيان فى تفسير القرآن — لابى جعفر محمد بن جرير الطبرى — طبعة دار الحديث — القاهرة •
- حاشية الروض المربع شرح زاد المتقع — للشيخ البهوتى الجعلى — جمع وتعليق الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن القاسم النجدى — الطبعة الثانية
- دفع ابهام الاضطراب عن آيات الكتاب للشنقيطى •
- رياض الصالحين للنووى — المكتبة التوفيقية — القاهرة ١٩٨٣م•
- المسند للامام احمد بن حنبل •
- روح المعانى •
- سنن ابى داود — دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع — بيروت — لبنان
- سنن الترمذى — الجامع الصحيح لأبى عيسى محمد الترمذى — طبعة المدنى ١٩٦٤م• — القاهرة •
- سنن النسائى •

- سنن ابن ماجـة - طبعة عيسى البابى الحلبى .

- صحيح البخارى المسمى الجامع الصحيح للامام ابوعبد الله البخارى .

- طبعة صبيح وأولاده - القاهـــرة .

- صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى - دار احياء التراث العربـى

بيـــروت .

- صحيح مسلم بشرح النووى (الامام محى الدين ابو زكـريـا يحيى المعروف

بالنووى - المطبعة المصريـة .

- عون المعبود وشرح سنن ابى داود .

- غرائب القرآن ورغائب الفرقان - نظام الدين الحسن بن محمد القمـــى

النيسابورى - تحقيق ومراجعة ابراهيم عطوة عوض - مطبعة البابى الحلـبى

واولاده - مصر - طبعة اولى .(١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م) .

- فتح البارى شرح صحيح البخارى - شهاب الدين ابى الفضل العسقلانـى

المعروف بابن حجر - مطبعة مصطفى البابى الحلبى - القاهرة -١٩٥٩م

- فى ظلال القرآن - بقلم قطب دار الشروق - بيروت - الطبعة الثانيـــــة

عشر - (١٩٨٦م - ١٤٠٦هـ) - وطبعة القاهرة .

- فتح القدير - الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير للشيخ محمد

ابن على الشوكانى - طبعة دار الفكـــر .

فهــرس الكتـــاب

====

الموضـــــــوع	رقم الصفحة
المقدمـــة	٧
ســورة المجادلـــة	١١
مناسبة السورة لما قبلها	١١
سبب تسمية السورة بالمجادلة	١٢
الآيـــة الاولـــى	١٤
المعانى اللغوية	١٤
سبب النزول	١٥
الشرح التحليلى	١٦
الآيـــة الثانيـــة	١٩
المعانى اللغوية	١٩
مناسبة الآية لما قبلها	٢٠
الشرح التحليلـــــى	٢٠
معنى الظهار وصورتـــة	٢١
الفاظ الظهار	٢٢
الظهار بالاجنبية	٢٤
الآية الثالثة والرابعـــة	٢٧

المعانى اللغوية	٢٧
مناسبة الآتيين لما قبلها	٢٧
كفارة الظهار	٢٨
أقوال أهل العلم فى تفسير العود	٣٠
الآيـة الخامسـة	٣٧
المعانى اللغوية	٣٧
مناسبة الآية لما قبلها	٣٧
الشرح التحليلـــى	٣٨
الآيـــة السادســة	٤١
المعانى اللغويـة	٤١
الشرح التحليلـــى	٤١
الآيـة السابعة	٤٤
المعانى اللغويـة	٤٤
مناسبة الآية لما قبلها	٤٤
الشرح التحليلـــــى	٤٥
الآيـة الثامنـــــة	٥٠
المعانى اللغويـة	٥٠
سبب النـزول	٥١
مناسبة الآيـة لما قبلها	٥٢

الشرح التحليلى للآيـة	٥٣
تحريم ايذاء الكفار بالسلام وكيفية الرد عليهم	٥٩
المسألة الاولى : عدم البدأ بالسلام	٥٩
المسألة الثانية : اضطرار الكافر الى اضيق الطريق	٦١
الآيـة التاسعـة	٦٣
المعانى اللغوية	٦٣
مناسبة الآيـة لما قبلها	٦٣
الشرح التحليلـى	٦٤
الآيـة العاشرة	٦٦
المعانى اللغويـة	٦٦
مناسبة الآية لما قبلها	٦٦
الشرح التحليلـى	٦٧
الآيـة الحادية عشـر	٦٩
المعانى اللغويـة	٦٩
سبب النـزول	٦٩
المناسـبة	٧٥
الشرح التحليلى	٧١

الآيــة الثانية عشــــر	٧٦
المعانى اللغويــة	٧٦
سبب النــزول	٧٦
مناسبة الآيــة لما قبلها	٧٨
الشرح التحليلى	٧٨
الآيــة الثالثــة عشــــر	٨٠
المعانى اللغويــة	٨٠
مناسبة الآية لما قبلها	٨٠
الشرح التحليلى	٨١
الآيــة الرابعة عشــر	٨٥
المعانى اللغوية	٨٥
سبب النزول	٨٥
الشرح التحليلى	٨٧
المعنى الاجمالى	٩٠
الآيــة الخامسة عشر	٩١
المعانى اللغوية	٩١
مناسبة الآية لما قبلها	٩١
الشرح التحليلى	٩١
الآيــة السابعة عشر	٩٥

المعانى اللغويــة	٩٥
مناسبة الآية لما قبلها	٩٥
الشرح التحليلى	٩٦
الآيــة التاسعة عشر	٩٨
المعانى اللغوية	٩٨
مناسبة الآية لما قبلها	٩٨
شرح الآيــة	٩٨
الآية العشوون والحادية والعشرون	١٠١
المعانى اللغوية	١٠١
مناسبة الآية لما قبلها	١٠١
الشرح التحليلـــى	١٠٢
الآية الثانية والعشرون	١٠٥
المعنى اللغوى	١٠٥
سببالنزول	١٠٥
مناسبة الآية لما قبلها	١٠٦
الشرح التحليلى	١٠٧
الخاتمـــــــــة	١١٥
ســـورة الطـــلاق	١١٩
مناسبة السورة لما قبلها	١١٩

سبب تسمية السورة بالطلاق	١٢٠
الآيــة الاولى	١٢٤
المعانى اللغوية	١٢٣
الشرح التحليلى	١٢٣
المعنى الاجمالى	١٣٣
الآيــة الثانيــــة	١٣٥
المعانى اللغوية	١٣٥
سبب النزول	١٣٦
الشرح التحليلى	١٣٦
المعنى الاجمالى	١٤٣
الآيــة الثالثــة	١٤٥
المعانى اللغوية	١٤٥
سبب النزول	١٤٥
الشرح التحليلى	١٤٧
الآيــة الرابعــــة	١٥١
المعانى اللغوية	١٥١
سبب النــزول	١٥١

الشرح التحليلى	١٥٢
الشرح الاجمالى	١٥٥
الآيــة الخامسة	١٥٦
المعانى اللغوية	١٥٦
الشرح التحليلى	١٥٦
الشرح الاجمالى	١٥٧
الآيــة السادسة	١٥٨
المعانى اللغوية	١٥٨
الشرح التحليلى للآية	١٥٩
الشرح الاجمالى	١٦٣
الآيــة السابعة	١٦٥
المعانى اللغوية	١٦٥
الشرح التحليلى	١٦٥
الآيات الثامنة والتاسعة	١٦٩
المعانى اللغوية	١٦٩
مناسبة الايات لما قبلها	١٧٠
الشرح التحليلى	١٧٠
الآيــة الثانية عشــر	١٨٢
المعانى اللغوية	١٨٢

الشرح التحليلـــى	١٨٢
الخاتمـــة	١٩١
الفهارس	٢٠١

●●　　　●●

٩٤/٧٧٩٩
I.S.B.N
977-00-7417-9